الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان:

عقيدة المهدي بن تومرت

ـ دراسة تحليلية تاريخية ـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

✓ أسماء مرزوقي

✓ ربيعة رحومة

إشراف:

د. العابد عبد الحميد

نوقشت المذكرة علنا يوم: 27/ 05 /2025

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. زكريا زكايرة	أستاذ مساعد. أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
د. العابد عبد الحميد	أستاذ محاضر.ب	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
د. واعظ نويرة	أستاذ محاضر. ب	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

"دعاء"

سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم
اللهم آتي نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليّها
ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع
ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها.
اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم، اللهم إني
أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفاجعة نقمتك،
وجميع سخطك.
اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء والصبر عند القضاء
ومنازل الشهادة وعيش السعداء،
والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء.

الشكر والتقدير

الحمد والشكر والفضل والمنة لله أولا وآخرا الذي أمدنا بالعون

والمدد لإنجاز هذا العمل

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور" العابد عبد

الحميد" الذي لم يبخل علينا بالتوجيه في إعداد هذه المذكرة،

أدامه الله ذخرا لطلاب العلم.

كما أن الشكر موصول إلى كل من قام بتوجيهنا وإرشادنا خلال هذا

العام الدراسي خاصة الأستاذ الدكتور" زواري عبد الرؤوف"

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

"الإهداء"

إلى النور الذي أضاء دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي أبدا ... إلى الذي

ذكراه لا تنسى مهما مرت السنين ... إلى روح والدي رحمه الله

إلى مهجة قلبي ونور فؤادي ... الإنسانة العظيمة .... أمي الغالية حفظها الله وأطال

في عمرها

إلى إخواتي وأخواتي وكل من تربطني بهم صلة رحم أو قرابة أو حبا وكرامة

إلى أختي وصديقتي ورفيقة دربي ... ربيعة رحومة

إلى كل من مروا بحياتي وجبروا بخاطري ولو بكلمة

أهدي هذا العمل المتواضع

أسماء

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

بكل حب أهدي ثمرة نجاحي.

إلى الذي زين اسمي بأجمل الألقاب .... إلى من كان يحلم أن يراني في أعلى المراتب

... إلى الأغلى دائما ... إلى روح أبي رحمه الله وأسكن فسيح جناته

إلى من جعل الجنة تحت أقدامها إلى الغالية التي لطالما تمنت أن أكون متفوقة

دائما ... أمي حفظها الله ورعاها

إلى إخوتي وأخواتي وكل أفراد عائلتي

إلى كل أصدقائي ومن له مكانة في قلبي

إلى رفيقتي دربي ... أسماء مرزوقي

إلى من جمعني معها مكان عملي وأصبحت الصديقة الأقرب إلى قلبي ... فاطمة

ثامر

وإلى كل من كان له الفضل في وصولي إلى هذه المرحلة أهدي عملي هذا

ربيعة

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تق	تقديم
تح	تحقيق
إش	إشراف
تع	تعليق
ط	الطبعة
ج	الجزء
مج	مجلد
ع	عدد
ص	صفحة
د.ط	دون طبعة
هـ	هجري
م	ميلادي

ملخص:

تتناول هذه المذكرة الجانب العقائدي والفكري من دعوة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين من خلال تحليل مضامينها الدينية وتأثيراتها التاريخية والسياسية وتبرز كيف وظّف العقيدة في تأسيس مشروعه الإصلاحي والسياسي.

حيث مزج بين التنزيه العقائدي المستمد من الأشعرية وبعض أفكار المعتزلة وبين تصور سياسي يرى في المهدي المعصوم زعيما شرعيا ومصلحا اجتماعيا، وقد تحولت عقيدته إلى أداة للتوحيد والإصلاح السياسي وكان لها أثر بالغ في بناء الدولة الموحدية ونشر رؤية جديدة في العقيدة والدولة في الغرب الاسلامي.

Abstract:

This memorandum examines the doctrinal and intellectual aspects of the call of al-Mahdi ibn Tumart, founder of the Almohad dynasty, by analyzing its religious content and historical and political influences. It highlights how he employed doctrine to establish his reform and political project.

He combined the doctrinal purification derived from Ash'arism and some of the ideas of the Mu'tazila with a political vision that saw the infallible Mahdi as a legitimate leader and social reformer. His doctrine became a tool for monotheism and political reform and had a profound impact on building the Almohad state and spreading a new vision of doctrine and state in the Islamic West.

مقدمة

مع بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي أدت مجموعة من الأسباب والظروف والأوضاع على اختلافها إلى ظهور العديد من الشخصيات التاريخية البارزة في العصر الوسيط في المغرب الإسلامي، من بين تلك الشخصيات شخصية المهدي بن تومرت، إذ مثلت حركته نقطة جوهرية وفاصلة في التاريخ المغربي، لاسيما في ظل ما عرفته المنطقة من تفكك سياسي وانحطاط ديني في أواخر عهد الدولة المرابطية، وقد استطاع بن تومرت بفضل عقيدته الدينية الإصلاحية، أن يؤسس لبنة فكرية وعقائدية مغايرة لما كان سائدا، تجسدت لاحقا في نشوء كيان سياسي وديني قوي وحَّد المغرب والأندلس تحت راية واحدة ألا وهي الدولة الموحدية .

جاءت دعوة ابن تومرت في ظل ظروف كانت يطغى عليها الجمود الفقهي والانغلاق العقدي، فرع ابن تومرت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وادعى العصمة لنفسه، ولقب نفسه بالمهدي المنتظر، مستندا إلى تأويلات نصوصية وأحاديث نبوية لتبربر مشروعه السياسي والديني، وقد تبنى ابن تومرت عقيدة توحيدية صارمة، مزجت بين مقولات علم الكلام الأشعري ونزعة إصلاحية متأثرة بالزهر والتصوف، ما أضفى على دعوته طابعا ثوريا غير مألوف في البيئة المغاربية، ثم إن رؤيا ابن تومرت لعقيدته لم تكن مجرد أطروحة دينية جامدة، بل كانت مشروعا شاملا يهدف إلى إعادة تشكيل مجتمع ودولة على أسس جديدة .

وعليه من خلال هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة إلى تحليل عقيدة المهدي بن تومرت من حيث أهدافها السياسية وأبعادها وتأثيراتها على بلاد المغرب على جميع الأصعدة، مدى تأثير هذه العقيدة على تطور الدولة الموحدية .

أسباب ودوافع اختيار الموضوع

إن اختيار موضوع عقيدة المهدي بن تومرت دراسة تحليلية وتاريخية خلال القرن السادس الهجري جاء لعدة أسباب منها: ميولنا الشخصي لدراسة مثل هذه المواضيع خاصة المتعلق بالفترة الوسيطة في المغرب الإسلامي، وكذا اكتسابنا لأفكار مسبقة حول الموضوع كونه مقياس من مقاييس تخصصنا .

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في كونه نقطة تحول في التاريخ السياسي والديني للمغرب الإسلامي عامة والدولة الموحدية خاصة.

الدراسات السابقة

أما الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع في بعض جزئياته، وافادتنا في تحليل ثنايا مذكرتنا ولو بالجزء القليل نذكر منها:

- علي الهادي الإدريسي، الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية، بحث لنيل شهادة الماجستير، إش: أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة، 1986-1987، حيث أفادتنا في تحليل ودراسة الفصل الثالث من الموضوع .
- مغزاوي مصطفى، العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه (5-8هـ/11-14م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، إش: خالد كبير، جامعة الجزائر، 1429هـ/2008م، هي الأخرى أفادتنا في جزء من الفكر الأشعري عند ابن تومرت من الفصل الثالث .

الإشكالية

ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية: فيما تمثلت عقيدة ابن تومرت؟ وكيف أثرت على تاريخ بلاد المغرب الإسلامي؟

وقد اندرجت ضمن هذه الإشكالية تساؤلات جزئية وهي:

- من هو ابن تومرت؟
- ما المقصود بالعقيدة التومرتية؟ ما هي أسباب نجاحها؟
- فيما تمثلت مبادئ العقيدة التومرتية؟ وكيف أثرت على بلاد المغرب؟

المنهج المتبع

وللإجابة على هذه التساؤلات وأخرى اعتمدنا على منهج ملائم لهذه الدراسة، والذي مكننا من تسليط الضوء على أهم المحطات المرتبطة بتاريخ هذه الحقبة وما يتبعها من وقائع وأحداث وهو المنهج التاريخي السردي الوصفي.

الخطة المعتمدة

لمعالجة الموضوع تم وضع خطة متكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث جاء **الفصل الأول** بعنوان **المهدي بن تومرت مسيرته التاريخية** وقسم هذا الفصل إلى مبحثين، حيث عنون المبحث الأول بـ نبذة تاريخية عن شخصية المهدي بن تومرت، والمبحث الثاني جاب بعنوان الدعوة التومرتية وظروف ظهورها.

– **أما الفصل الثاني الموسوم بـ الفكر المهدوي وأسباب نجاح العقيدة التومرتية**، إذ قُسِّم هو الآخر إلى مبحثين، الأول عنون بـ فكر عقيدة المهدي بن تومرت، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان المناظرات الفقهية وأسباب نجاح العقيدة التومرتية.

– أما **الفصل الثالث** والأخير جاء بعنوان **التأثير السياسي لعقيدة ابن تومرت في بلاد المغرب الإسلامي**، وقد قسم إلى ثلاث مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان تأثير عقيدة ابن تومرت سياسيا، أما المبحث الثاني بعنوان **تأثير العقيدة التومرتية فكريا ودينيا**، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان : التأثير الاجتماعي للعقيدة التومرتية، وانهينا العمل بخاتمة كحوصلة لما تم دراسته في هذه المذكرة .

المصادر والمراجع

وللإلمام والإحاطة بمختلف جوانب الموضوع استعملت مجموعة من المصادر والمراجع كل حسب تخصصها وتنوعها، وذلك لإثراء الموضوع والخوض في ثناياه أكثر، ومن بين أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث هي:

– ياقوت الحموي، معجم البلدان، بجزئه الرابع، في جميع فصول المذكرة إذ ساعدنا على شرح العديد من المصطلحات المتعلقة بالأماكن .

– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الذي شرح لنا بعض تفاصيل ظهور العقيدة التومرتية.

– ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج5، الذي أورد لنا تفاصيل عن المهدي بن تومرت من هو وأصله ونسبه.

– مؤلف مجهول، للحلل الموشية، الذي وصف لنا أيضا في الفصل الثالث تأثيرات العقيدة التومرتية .

– وكذلك كتاب ابن خلدون العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، أفاد البحث في جميع فصول المذكرة، وخاصة الفصل الأول في النسب المتعلق بشخصية المهدي بن تومرت.

الصعوبات

ومن الصعوبات التي صادفت البحث:

– تكرار المعلومات في العديد من المصادر خاصة فيما يتعلق بنسب المهدي بن تومرت، مما أدى إلى صعوبة الربط بين الأفكار من أجل تنويع المصادر.

– قلة الدراسات التي تتناول تأثير العقيدة التومرتية على بلاد المغرب بصفة خاصة.

وقد تم بعون الله إنجاز هذا العمل المتواضع الذي نأمل أن يكون ساهم ولو بالقليل في إثراء الرصيد المعرفي والتاريخي، كما نأمل أن يكون مرجعا لمن يريد الغوص في تاريخ بلاد المغرب أو الموحدي، وكذا العقائدي لبلاد المغرب.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد، وخاصة الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

الفصل الأول

المهدي بن تومرت مسيرته التاريخية

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن شخصية المهدي بن تومرت

المبحث الثاني: الدعوة التومرتية وظروف ظهورها

تمهيد

يعد المهدي بن تومرت شخصية محورية في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، حيث مثلت ظهور هذه الشخصية نقطة تحول في مسار منطقة بلاد المغرب الإسلامي سياسيا ودينيا، في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس هجري، إذ استطاع هذا الأخير أن يؤسس لحركة دينية وسياسية قوية، مزجت بين الفكر المهدوي العقائدي الصارم والتنظيم المحكم، إذ استطاع المهدي بن تومرت من خلال فكره المهدوي أن يشكل نواة لقيام دولة، وهذا ما جعل مسيرته التاريخية ذات تأثير عميق على تطورات العصر الوسيط في بلاد المغرب الإسلامي .

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن شخصية المهدي بن تومرت

المهدي بن تومرت من بين أبرز الشخصيات التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط المحركة للأحداث التاريخية البارزة في القرن الخامس والسادس الهجري، والتي أحدثت العديد من التغيرات السياسية والتاريخية في المغرب والأندلس، والتي سنحاول من خلال هذا المبحث التعرف عليها وحيثياتها التاريخية .

المطلب الأول: نسب المهدي بن تومرت

1. نسب المهدي بن تومرت

ينسب " الزركشي" صاحب كتاب الدولتين الموحدية والحفصية المهدي بن تومرت إلى أنه: (محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء ابن رباح بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب رضي الله عنهم ... وحكى ابن سعيد في البيان المغرب أن والد الإمام المهدي يقال له عبد الله وتومرت، وأن الإمام ولد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، وقال ابن خلكان سنة أربع وثمانين، وقال ابن الخطيب الأندلسي سنة ست وثمانين، وقال الغرناطي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقرأ بقرطبة على يد ابن حمدون القاضي)[1] .

إضافة إلى ذلك يذكر "المراكشي": أنه في سنة 515ه ظهر المهدي بن تومرت بالسوس[2]، مولده بها بضيعة منها تُعرف بإيجلى أن وارغن، وهو من قبيلة تسمى هرغة[3]،

---

[1]– ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج1، ط1، تح وتع: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964م، ص48، الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، ط2 تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص03-04.

[2]– عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524ه/1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403ه/ 1983م، ص36-37.

[3]– **هرغة:** هي قبيلة صغيرة في جبال درن كان لها مجد، وهي فرع من فروع المصامدة سبق أن كون دولة سيطرت على منطقة كبيرة في المغرب هم المبرغواطيون، ثم إن النفوذ الذي حصلت عليه هذه القبيلة له تأثير قبلي كبير فيما اعتقده الزعيم الموحدي ابن تومرت. **أنظر:** عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1426ه/2005م، ص157.

من قوم يعرفون بإيسرغينن، وهم الشرفاء بلسان المصامدة[1]، ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وُجدت بخطه[2]، وقد حرر ابن خلكان ذات المعلومات في نسب المهدي بن تومرت (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، وكان ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي عنهما، وجدت على ظهر كتاب النسب الشريف العابد بخط بعض أهل الأدب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته وهو: محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحي بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما والله أعلم، وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم)[3]، أما بالنسبة لابن الخطيب فقد أشار في كتابه أعمال الأعلام في جزئه الثاني حول نسب ابن تومرت حيث ذكر: (صاحب الدرهم المربع هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحي بن طار بن رباح بن أصار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب)[4]، وهو ما اتفق عليه كذلك صاحب الروض القرطاس في نسب ابن تومرت إلا أنه أضاف أن المهدي بن تومرت (رجل من هرغة من قبيلة

---

[1]– **المصامدة:** ومصمودة أقدم قبيلة بربرية مستقرة بالمغرب. **أنظر:** ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تح: عبد الوهاب التازي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1964م، ص273؛ **أنظر** أيضا: عثمان الكعاك، **البربر**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2010م، ص101–102؛ وكذلك **أنظر:** بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية**، أدوارها، مواطنها، أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2000م، ص175، 254.

[2]– عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص245.

[3]– ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608–681هـ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص45.

[4]– ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ج2، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص398.

المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت الهرغي وقيل من كنفيسة والله أعلم بذلك كله)[1]، إذا ابن تومرت هو ذلك الداعية الموحدي من قبيلة صغيرة في جبال درن[2] هي هرغة[3].

2. مولد المهدي بن تومرت

إن تاريخ ميلاد المهدي بن تومرت لم تضبطه المصادر التاريخية التي قامت بالكتابة عنه، وإنما يقومون بربط تاريخ وفاته بميلاده الذي كان عام 524هـ، من أجل معرفة تاريخ ميلاده التقريب، وهذا ما جعل بعض المصادر تروي أنه رأى النور ما بين 471- 474هـ، فنجد ابن الأثير يؤكد أنه توفي وعمره يتراوح ما بين 51و 55 سنة، وأبو الفداء يقول إنه توفي في سنة الواحدة والخمسين من العمر، وابن القطان يرى أن المنية أدركته وهو في الخمسين، لكنه في المقابل يقول ولادته كانت عام 484هـ، وهو هنا لا يختلف تقريبا عن ابن الخطيب الذي يجعل ولادته عام 586هـ، أما البيان المغرب، وتاريخ الدولتين لزركشي فيجعلان ولادته في 491هـ[4].

ولد ابن تومرت في جنوب المغرب الأقصى، ويحتمل أن ذلك كان على المنحدرات الشمالية لسلسة جبال الأطلس الداخلية في مكان يسمى إجيليز-ن- هرغة، ومان ابن تومرت ابنا لأحد صغار رؤساء القرية، وقد أثبت النسابون فيما بعد أن اسرته متصلة النسب بأسرة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وفد إلى المغرب عدة أفراد من هذه الأسرة الشريفة فرار من اضطهاد العباسيين، وتوجه بعضهم إلى جبال الأطلس، وتلقى تعليمه في بيئة بربرية صرفة وكان معظم أجداده من المصامدة[5]، ويذكر أيضا صاحب رحلة الوافد أن مدينة تينملل بلدة الإمام المهدي[1]،

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص172.

[2]- **جبال درن:** جبل من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى. **أنظر:** الحميري، معجم البلدان، ج 2، مصدر سابق، ص 452.

[3]- عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1426هـ/2005م، ص157.

[4]- أمبروسيو هويثي ميراندا، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، ط1، تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، المكاري، الرباط، الدار البيضاء، 2004م، ص30.

[5]- روجي لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982م، ص11-12.

وتمت بيعة المهدي بن تومرت إنما كانت في سنة 515هـ، لكن دولته لم يظهر استقلالها ولا الإعلان بها حتى انسلخ عام 515هـ[2] .

من المعروف أن والد المهدي بن تومرت من أهل السوس، وكان رجلا فقيرا، وأمه من قوم يعرفون ببني يوسف من مسكالة من عمل السوس، وبنو يوسف هم أخواله، ومولده بموضع يسمى نومكران وهو موضع لا ماء فيه، وإنما يشرب أهله من ماء المطر، وهناك كانت دار أسرته، وكان يقال لوالده تومرت وأمغار، ومعناه في لغة المصامدة، الضياء الذي يوقد في المسجد، ومن تم فقد عرفه التاريخ باسمه الذائع، وهو محمد بن تومرت، كما عرفه بلقبه الديني وهو المهدي[3]، ويذكر البيدق في معنى كلمة تومرت التي ارتبطت باسم أبيه قائلا: إن اسم أبيه عبد الله شهر في في صغره إلى كبره بتومرت بن وجليد، وذلك أنه لما ولد فرحت به أمه وسرت، فقالت باللسان الغربي (آتومرت آينُو أيَّسك آييوى)، ومعناه: يا فرحتي بك يا بني، وكانت إذا سئلت عن ابنها وهو صغير، تقول اللسان الغربي (يك تومرت)، معناه صار فرحا وسرورا، فلقب عليه اسم تومرت، وترك دعاؤه باسم عبد الله الذي سمي به أولا[4] .

3. صفات المهدي بن تومرت الخَلقية والخُلقية

وصف النويري المهدي بن تومرت في نهاية الأرب بأنه كان (فقيها فاضلا محدثا، عارفا بأصولي الدين والفقه، محققا لعلم العربية، وكان ورعا ناسكا)[5]، وفي كتاب نظم الجمان حين لقائه بأبي حامد الغزالي وصف بأنه (... رجل كث اللحية على رأسه

---

[1]– التاسافتي، عبد الله ابن إبراهيم، **رحلة الوافد**، تح: علي صدقي ءازايكو، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ص100.

[2]– مجهول (ت712هـ)، **تاريخ البربر**، ط1، تح وتع: محمد زينهم، جهاد لطباعة والنشر والتوزيع، مدونة برج بن عزوز، ص63.

[3]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين في بداية الدولة الموحدية**، ط2، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص158-159.

[4]– أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، **المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص20.

[5]– النويري، شهاب الدين عبد الوهاب (ت733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج24، تح: عبد المجيد ترحيني، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص152.

كرزى صوف وهو محْتَبٍ بكساء)[1]، كان (محمد المسمى بالمهدي القائم بدولة الموحدين حسن القد، أسمر اللون، رقيق البشرة، أفلج، أقنا، غائر العينين، خفيف العارضين، له شامة سوداء في خده الأيمن، ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم، وكان مع ذلك عالما فقيها راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حافظا له عارفا بالأصول، عالما في علم الاعتقاد والجدل، فصيح اللسان، مقداما على الأمور العظام، سفاكا للدماء، غير متورع فيها ولا متوقف عنها، يهون عليه سفك دم عالم من الناس في هوا نفسه وبلوغ غرضه، وكان مع ذلك متيقظا في أحواله، ضابطا لما ولي من سلطانه، شرع وأسرع، ومهد الملك لغيره بالخدع، ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم، وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه، وعلمهم توحيدا بلغتهم، فإنه كان رجلا منهم، والتوحيد بأيديهم)[2]، ولا يخفى لنا أيضا ما وصفه به ابن الخطيب حين قال أنه (كان رجلا فقيرا مشتغلا بطلب العلم على شكل البرابرة، صاحب انقباض عن الناس، وذاهب مذهب الحسبة وتغيير المنكر)[3] .

المطلب الثاني: نشأة المهدي بن تومرت ورحلاته العلمية

في هذا المطلب سنقوم بالتعرض إلى نشأة المهدي بن تومرت وأهم رحلاته العلمية .

1. نشأة المهدي بن تومرت

لا توجد أية تفاصيل كافية وشافية حول نشأة المهدي بن تومرت في المصادر المغربية وجُل ما يروى عنه أنه شبَّ ونشأ في بيت نسك وعبادة، قارئا مُحبًّا للعلم، وكان يسمى في حداثته أسافور ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد التي يلازمها[4]، إضافة إلى ما أشار إليه اب خلدون حول عائلة ابن تومرت واصفا إياها بقوله

---

[1]– ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، ط1، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص73.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي، **الروض القرطاس**، مصدر سابق، ص181.

[3]– ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح وتع: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1962م، ص266.

[4]– محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص160.

أنهم كانوا أهل نسك ورباط، وشب محمد هذا قارئا محبا للعلم، وكان يسمى أسافور، ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها[1].

ويبدوا أن الأسرة التي ينتمي إليها ابن تومرت كانت أسرة من أواسط القوم، غير بارزة الثروة والجاه فيهم، إلا أنها كانت على شيء من المكانة الدينية، وربما أصبحت هذه الأسرة على شيء من الجاه حينما صار والده شيخا لقبيلته، وهو ما يتضمنه تلقبيه بأمغار التي تعني بالبربرية الشيخ[2] .

2. رحلات المهدي بن تومرت العلمية

قام المهدي بن تومرت بالعديد من الرحلات كان الهدف منها اكتساب المعارف العلمية يذكر ابن القطان أن: (ابن تومرت غادر وطنه بالسوس في طلب العلم، وعبر البحر إلى الأندلس، ودرس بقرطبة حينا، ثم جاز من ثغر المرية إلى المشرق)[3]، (ومر في طريقه على المهدية، وأخذ على الإمام المازري ثم قصد الإسكندرية ودرس بها على الإمام أبي بكر الطرطوشي)[4]، وقضى بعد ذلك فريضة الحج، ثم سافر إلى بغداد، وهناك درس الفقه والأصول على يد أبي بكر الشاشي بفخر الإسلام، ودرس الحديث على يد المبارك بن عبد الجبار وغيره[5]، وفي رواية المراكشي في كتاب المعجب أن المهدي بن تومرت (رحل إلى المشرق في شهور سنة 501هـ في طلب العلم، وانتهى إلى بغداد، ولقي أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئا من أصول الفقه وأصول الدين، وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين)[6]، وقيل (رحل إلى المشرق فلقى جملة من

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون (ت 732–808هـ/1332هـ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، ضبط الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1431هـ/2000م، ص301.

[2]– عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ/1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/ 1983م، ص34.

[3]– ابن القطان، مصدر سابق، ص21.

[4]– **أبي بكر الطرطوشي:** محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي المالكي المعروف بابن أبي زيد نزيل الإسكندرية وأحد الأئمة الكبار، أخذ عن أبي الوليد الباجي ورحل فأخذ السنن عن أبي علي التستري وسمع ببغداد من رزق الله التميمي وطبقته وتفقه على أبي بكر الشاشي ...**أنظر: شذرات الذهب**، ج4، ص62.

[5]– محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص161.

[6]– المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص245– 246.

العلماء منهم أبو حامد الغزالي)[1] وقيل إنه (لقي بأبا حامد الغزالي[2] بالشام أيام تزهده فالله العلم، وحكى له ما فعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب من إحراقها وإفسادها، وابن تومرت حاضر ذلك المجلس، فقال الغزالي حين بلغه ذلك ليذهبن عن قليل ملكه، وليُقتلن ولدُه، وما أَحسب المتولي ذلك إلا حاضرا مجلسنا)[3].

أما "ابن القطان" فيذكر شيئا عن رحلات المهدي بن تومرت العلمية إلى المشرق فيورد في السنة (الأولى من المائة السادسة كانت رحلة الإمام المعصوم المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في طلب العلم إلى المشرق والأندلس[4]، إذ قيل أن الإمام المهدي (جاز البحر إلى الأندلس طالبا للعلم، ووصل قرطبة، ثم مشى إلى المرية[5]، فدخل منها في مركب إلى المشرق، وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاما)[6].

---

[1]– ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، مصدر سابق، ص266.

[2]– **أبو حامد الغزالي:** أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن الأساتذة. **أنظر:** ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت608–681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص216.

[3]– ابن أبي زرع الفاسي، **الروض القرطاس**، مصدر سابق، ص181.

[4]– **الأندلس:** أطلق المسلمون إسم الأندلس على القسم الذي فتحوه من شبه الجزيرة الأيبرية وهى تعريباً لكلمة " فانداليشيا " التى كانت تطلق على الاقليم الرومانى المعروف باسم باطقة الذى احتلته قبائل الفندال الجرمانية ما يقرب من عشرين عاماً ويسميهم الحميرى بالأندليش ويرى البعض أنها مشتقة من قبائل الوندال التى أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن ، ويرى البعض الآخر أنها ترجع الى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام والأندلس فتحها القائد طارق بن زياد سنة 92 هـ –711 م. **أنظر:** البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تح: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت 1968، ص57 .

[5]– **المرية:** مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، ويعمل بها الوشي والديباج. **أنظر:** ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، مصدر سابق، ص 119.

[6]– ابن القطان، **نظم الجمان**، مصدر سابق، ص61–62.

وكان أول من رافقه وأكمل عنه مسيرته عبد المؤمن بن علي[1]، هذا الأخير الذي اعتزل الرحلة إلى المشرق ليتابع الدرس ويقضي فريضة الحج، وفي طريقه دخل ملالة على فرسخ من بجاية وفيها التقى بمحمد بن تومرت، وكان يومئذ يقود حملته ضد المنكر فاصطفاه ابن تومرت، واختاره من بين طلبة العلم لما لمح فيه من النبوغ والعبقرية ودعاه إلى معاونته فيما هو قائم به، من إماتة المنكر، وإحياء العلم وإخماد البدع، وبقي عبد المؤمن إلى جانب بن تومرت في ملالة، ثم ذهبا إلى ونشريس فتلمسان[2] فالمغرب الأقصى، ونزلا بموضع حصين من جبال تينملل[3]، وهناك عملا على تقويض دولة المرابطين وإقامة دولة الموحدين، وتلقب ابن تومرت بالمهدي القائم بأمر الله، ولكنه لم يُتم فتح مراكش[4] وسبقته المنية[5].

---

[1]– **عبد المؤمن بن علي:** هو علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان، أبو محمد التاجري الكومي الندرومي، أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين في المغرب العربي الكبير والأندلس، ولد بتاجرا بنواحي ندرومة. **أنظر:** عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مرجع سابق، ص218.

[2]– **تلمسان:** مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهيفي سفح جبل أكثر شجره الجوز، وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر. وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها. **أنظر:** مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص 176.

[3]– **تينملل:** مدينة بيضاء حصينة في جبال الأطلس، التي لا يكون الصعود إليها على مكان ضيق وعر المرتقى حتى أن الدواب لا تترقى إلى هنالك، إلا بعد جهد ومشقة. **أنظر:** مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب**، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1985م، ص208.

[4]– **مراكش:** أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة 470، وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل، كان إذا انتهت القوافل إليه قالوا مراكش معناه بالبربرية أسرع المشي **أنظر:** ياقوت الحموي، ج5، مصدر سابق، ص 94.

[5]– عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ص218.

المبحث الثاني: الدعوة التومرتية وظروف ظهورها

في هذا المبحث سنقوم بالتطرق إلى بدايات الدعوة التومرتية والظروف التي ساعدت على ظهورها في المغرب الإسلامي .

المطلب الأول: بداية الدعوة التومرتية

بعد أن أخذ ابن تومرت حظ أوفر من العلوم في الدين والفقه واللغة أخذ على عاتقه أن ينقل إلى المغرب التوحيد الكلامي القائم على التأويل، وأن يصرف الناس عن المذهب التقليدي، وبما أنه ظل سنوات يطلب العلم بالمشرق ثم عاد إلى بلاده حاملا أفكارا جديدة وآمالا بعيدة، ثم حج بيت الله وأخذ وبدأ بنشر الدعوة الموحدية في مكة المكرمة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وكانت مكة آنذاك خاضعة للحكم الفاطمي، فلم يكن إذا بد من أن يندد بسوء حال المسلمين في عهد الفاطميين، ولذلك نرى أن ابن تومرت يغادر مكة ويتجه إلى الشام، ثم إلى مصر مركز الدولة الفاطمية آنذاك، وقد قيل إنه اتصل بالفقيه أبي بكر الطرطوشي في الإسكندرية، وهنا أخذت الدولة الفاطمية تطارد ابن تومرت خشية انتشار مبادئه الثورية بين الناس، فركب البحر واتجه إلى المغرب، وقد اختلف المؤرخون في اسم المدينة التي نزل بها ابن تومرت بعد خروجه من مصر[1]، فابن خلدون يذكر أنه حل بمدينة طرابلس، حيث أخذ ينشر مذهبه الجديد في التوحيد، الذي يقوم على تأويل المتشابه من القرآن الكريم والحديث الشريف، مشددا النكير على علماء المغرب في عدولهم عن التأويل، ثم قام ابن تومرت بتدريس علم التوحيد، لتوضيح مذهبه الجديد، وأخذ الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسب ما يذكره ابن خلدون أنه (لقي بسبب ذلك أذايات في نفسه احتسبها من صالح عمله، من علماء المغرب المالكية السلفيين الذين لم يتقبلوا مذهبه)[2].

ثم رحل من المهدية وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين، وصار إلى بجاية وفعل مثل ذلك، فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة، فلقيه بها عبد المؤمن، كما ذكرنا سالفا، ولم يزل المهدي بلازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن وصل

[1]– كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص58–59.

[2]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص467.

إلى مراكش، وهي دار مملكة علي بن يوسف بن تاشفين، فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه، فزاد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه، ووصلت مسامعه إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، وطلبه فأحضره الفقهاء لمناظرته، فأخذ يعظه ويذكره ويخوفه، فبكى أمير المسليمن، وأمر أن يناظروه فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته، وكان عند أمير المسلمين رجل من وزارته اسمه مالك بن وهيب فقال له: يا أمير المسلمين إن هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما هو يريد إثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي، فقتله وقلدني دمه، أو خلده في السجن وإلا أثار شرا لا يمكن تلافيه[1]، ولكن منعه أكابر الملثمين يسمى بنيان بن عمران، فأمر بإخراجه من مراكش، فسار إلى أغمات[2] ولحق بالجبل، وسار حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلته هرغة وغيرهم من المصامدة، وذلك في سنة أربع عشرة وخمسمائة، فأتوه واجتمعوا حوله، وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا إليه وجعل يعظهم ويذكرهم شعائر الإسلام، حتى سمي أتباعه الموحدين، وأعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلا، وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى[3]، وتلاحق به هنالك أصحابه العشرة وهم: عبد المؤمن ابن علي، وأبو محمد البشير، وأبو حفص بن يحي اينتي وأبو حفص وعمر بن علي أرتاح وسليمان بن مخلوف وإبراهيم ابن إسماعيل الهرغي، وأبو محمد عبد الله بن يعلي، وأبو محمد عبد الواحد أخضر، وأبو عمران موسى بن غار، ،أبو يحي ابن بحيت، وتابعه هؤلاء الجماعة يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان عام خمسة عشر وخمسمائة، وخرج من الغد إلى المسجد ،أصحابه متقلدون السيوف، فصعد النبر وخطب الناس وأعلمهم أنه الإمام المهدي المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعه الناس وسمي من أطاعه الموحدين، وعقد الإمامة وندب

[1]– النويري، نهاية الأرب، ج24، مصدر سابق، ص154.

[2]– **أغمات:** ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل، ومن سجلماسة ثماني مراحل نحو المغرب. **أنظر:** معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص 225.

[3]– النويري، نهاية الأرب، ج24، مصدر سابق، ص155.

الناس إلى جهاد لمتونة[1]، بايعه منهم عشرة آلاف على الموت قدم عليهم أبا محمد البشير وعقد له راية بيضاء، والتقى بجيش علي بن يوسف بن تاشفين فهزموه وحاصروا مراكش خمسة وأربعين يوما، ثم اتصلت حركاته وغزواته تراوح مراكش وتغاديها وبلاد المصامدة فدخلوا في دعوته، إلى أن توفي في يوم الخميس الخامس والعشرين لرمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة بعد أن دعى بعبد المؤمن ووصاه وأمره بما يكون عليه عمله في مواراته ومدفنه ووصاه بإخوانه وفكانت مدته ثماني سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما، وقام بعده عبد المؤمن بن علي[2].

المطلب الثاني: ظروف ظهور الدعوة التومرتية

سنحاول من خلال هذا المطلب دراسة الظروف التي ساعدت على ظهور وانتشار الدعوة التومريتة في أواسط بلاد المغرب وهي كالتالي:

- مع استلام علي بن يوسف بن تاشفين 500-537هـ/1107-1143م حكم الدولة المرابطية، دب الضعف فيها نتيجة ضعف حكم علي بن يوسف بن تاشفين، إضافة بداية ظهور إرهاصات الدعوة الموحدية مع المهدي بن تومرت واعتماد المهدي بن تومرت في دعوته على قبيلة المصامدة مما سهل عليه الأمر الأكثر خاصة وأنها قبيلة عصبية[3] .

- الروح النقدية والعلمية لابن تومرت وثقافته بالعلوم الشرعية والفقهية القدرة على إفحام فقهاء المرابطين، والتطاول على الملثمين في حضور أمير المسلمين ونعتهم بالجواري المنقبات، مما جعل الطلبة يتسابقون على مجالسه والتفاف العامة حوله، خاصة وأنه كاين يحرص في مناظراته على لقاء الولاة سيما في المناطق التي نزل بها فكانت جل

---

[1]- **لمتونة:** هذه بطن من بطون صنهاجة، أعظم القبائل البربرية، وهي بدورها فرع من فروع قبيلة البرانس الكبرى، وكانت لمتونة تسكن منطقة تلي منطقة لمطة وجزولة وتمتد من وادي النون على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية ومن الشرق من وادي نون تقع مدينة أزكي مسيرة سبعة أيام من وادي النون وهي حصن لمتونة ومعقلها، وكانت تؤثر حياة القفر على حياتهم الأخرى فكانوا يعتمدون في قوتهم على اللبن ولا يعرفون لا زرعا ولا حرا ولا يأكلون الخبز وكانت مهنتهم الرعي ورأس مالهم الأغنام التي كانوا يعيشون على لحومها وألبانها. **أنظر:** البكري، مصدر سابق، ج 2، ص 857-858، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص213.

[2]- ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، مصدر سابق، ص268-269-270.

[3]- عباس الجراري، **الموحدون ثورة سياسية ومذهبية**، مقال، مجلة المناهل، ع01، نوفمبر، 1974م، ص18.

حواراته معهم تتناول سياستهم للرعية وسيرتهم فيهم، ووصل صيته إلى مسامع أمير المرابطين، حتى وصل أن كان له معه لقاء مشهودا[1].

– احتضان قبيلة المصامدة دعوة ابن تومرت ونصرة القبيلة له وعلى حد تتعبير ابن خلدون العصبية القبلية، فقبيلة ابن تومرت عُرفت قبل قيام جولة المرابطين بقوة الشكيمة والدهاء في بلاد السوس، إن الظهور التاريخي للمصامدة يعود إلى بروز المهدي بدعوته فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم، كما كانت المنافسة قوية بين صنهاجة الصحراوية والمصامدة الجبلية على زعامة بلاد المغرب، فآمنت به واحتضنته ودافعت عنه أولا مذهبه، فزادت الدعوة التومرتية قوة إلى قوتها العصبية[2] .

– كانت قبيلة المصامدة عصب الدعوة التومرتية وانتشارها إذ اجتمع فيها العلم والانخراط في القوى المتصاعدة ببلاد المغرب، لما لها من نفوذ وقوة على القبائل المجاورة لها في المكان، كما كذلك عرف أهل السوق عموما باهتمامهم عالم من المخفيات والمغيبات، إذ يعتمدون على التنجيم والعرافة في تفسير الكثير من الظواهر المادية لحياتهم وكذا الأحداث التي تجري بينهم، وإدعائهم التصرف في القوى الخفية والقدرة على كشف الكنوز، ولذلك قبلوا فكرة المهدي المنتظر، وقبولهم بسرعة دعوة المهدي بن تومرت[3].

– يقول ابن خلدون عن بلاد المصامدة (لم يزل هؤلاء المصامدة بجبال درن ... إلى أن أظلتهم دولة لمتونة فكان أمرهم فيها مستفحلا عمن سواهم ...، وفي عنفوان تلك الدولة على عهد علي بن يوسف، منها نجمة إمامهم العالم الشهير محمد بن تومرت، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اندفاع مصمودة نحو الحراك التومرتي بقوة، لاعتبارات عصبية من جهة ورغبتها في القيام بدور أكبر في المرحلة المقبلة من تاريخ بلاد المغرب)[4].

---

[1]– كمال شبانة، مرجع سابق، ص155.

[2]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص300.

[3]– عبد المجيد النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1995م، ص36.

[4]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، 301.

خلاصة الفصل

وعليه نستنتج من خلال ما تم دراسته في هذا الفصل أن المهدي بن تومرت شخصية تاريخية فدة ذات نسب شريف حسب المصادر التاريخية المغربية، سعت هذه الشخصية إلى ترسيخ معالم العقيدة التومرتية ونشرها في أواسط المغرب الإسلامي، إذ قام بالعديد من الرحلات العلمية في المشرق والأندلس، لتلقيه العلم والعلوم الفقهية، وقد ساعدته في ذلك العديد من الظروف البيئية منها القبائل المصامدة.

الفصل الثاني

الفكر المهدوي وأسباب نجاح العقيدة التومرتية

المبحث الأول: فكر عقيدة المهدي بن تومرت

المبحث الثاني: المناظرات الفقهية وأسباب نجاح العقيدة التومرتية

تمهيد

شكل الفكر المهدوي عند ابن تومرت أساس المشروع الديني والسياسي الذي انطلقت منه حركته في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وقد تميز هذا الفكر بجمعه بين البعد العقدي والتأويل السياسي، حيث أعلن ابن تومرت أنه المهدي المنتظر، مع تبنيه للعقيدة الأشعرية والمنهج الظاهري في محاربة البدع والانحرافات، وهذا ما أكسب دعوته طابعا إصلاحيا جذريا جذب العديد من القبائل حوله، خاصة في خضم الصراعات السياسية التي كانت في المغرب الإسلامي، مع ضعف الدولة المرابطية، وهذا ما ما ساعد العقيدة التومرتية على كسب قاعدة شعبية واسعة، وهذا ما مكن الدعوة التومرتية من التحول من دعوة دينية إلى قوة سياسية ذات كيان سياسي وعسكري يحكم العالم الإسلامي فيما بعد .

المبحث الأول: فكر عقيدة المهدي بن تومرت

المطلب الأول: الإمامة

تعتبر الإمامة من أهم الإشكالات التي واجهت الإسلام في بداية عهده، كما يقول الشهرستاني: (فأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذا ما سلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سل الإمامة في كل زمان)[1]، رغم أن فكرة الإمامة قد تطورت في سياق الصراع على السلطة في العالم الإسلامي، فإن هذا التطور كان متأثرا بشكل واضح بجملة الأحداث الدامية والمأساوية التي خلفها هذا الصراع سواء بالنسبة للسنة أو الشيعة، والتي نعتبر أنها حجر الزاوية في إمامة ابن تومرت، وارتباطها بالمهدية والعصمة التي قال بها، فجوهر العقيدة الشيعية فكرة الإمامة والمهدية والعصمة لدى ابن تومرت[2].

الإمامة هي الشعار السياسي الذي انتحله ابن تومرت، دعامة لزعامته وسلطانه، ونظرية المهدي المنتظر، هي الثوب الروحي الذي اتشح به، لتأييد شرعية إمامته وقدسيتها، ونحن نعرف أن الإمامة هي شعار الدعوة الشيعية، الديني والسياسي، وأنها تخص بها آل البيت دون سواهم، وعلى مر العصور، ولكن ابن تومرت، في تمسكه بنظرية الإمامة، يبدوا مستقلا، بعيدا عن الدعوة الشيعية، وممثلا لدعوة خاصة، وإن كان في نفس الوقت يحرص على أن ينتسب إلى آل البيت، حتى تتوفر فيه شرعية الإمامة، وإليك كيف يعرض لنا ابن تومرت نظرية الإمامة وخصائصها حين يقول: (هذا باب في العلم، وهو وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة، وهي ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة، ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة، ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه من عاد إلى نوح ...)[3] .

---

[1]– الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ص13.

[2]– عقون مليكة، إشكالية الإمامة في الفكر السياسي العربي الإسلامي " المهدي بن تومرت نموذجا"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، إش: عبد اللاوي محمد، جامعة وهران، 2012–2013، ص91.

[3]– محمد بن تومرت (المهدي)، أعز ما يطلب، تق وتح: عبد الغني أبو العز، مؤسسة الغني للنشر والتوزيع، مطبعة وليلي، مراكش، (د.ت.ن)، ص23؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط2، مكتبة الخانجي، 1411هـ/1990م، ص205–206.

لقد اتخذ بن تومرت صفة الإمام في مرحلة مبكرة قبل أن يمر إلى المرحلة العلنية والجهر بفكرة المهدية، وكانت مقدمة لترسيخ دعوته القادمة، ولأن العلاقة بين الإمامة والمهدوية هي علاقة ذات ارتباط عضوي، فالمهدي هو إمام والإمام في المذهب الشيعي له علامات ومواصفات، وكان ابن تومرت يعتبر نفسه المؤهل لحمل مشعل المهدي المتجسد في المهدي المنتظر، وكركن من أركان الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، وابن تومرت صور هذا الارتباط بأوضح معنى بقوله: وجوب اعتقاد الإمامة على الكافر، وهو ركن من أركان الدين وعمدة من عمد الشريعة، ولا يصح قيام الحق في الدين إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة، ما من زمان إلا وفيه إمام قائم بالحق في أرضه من آدم إلى نوح ومن بعده إلى إبراهيم[1]، قال الله تبارك وتعالى: (إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)[2].

إضافة إلى أن ابن تومرت يقدم هنا جوهر العقيدة الشيعية التي تعتبر الإمامة من أركان الإسلام، أي الركن السادس على خلاف أهل السنة الذين يقرون بالإمامة، وحسب ما جاء في الآية الكريمة، أي الإقرار بإمامة إبراهيم الخليل وإمامة الأنبياء، وهذا الإقرار ما هو في نهاية المطاف إلا تأكيد لمهدوية بن تومرت ما دام ينتسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والذي ثبت نسبه من إبراهيم الخليل، وبذلك يدخل ضمن منطق تاريخي، ليعتبر بذلك أن الإمامة الحق هي إمامة المهدي المنتظر الذي يعيد الحق إلى سالف عهده، ويظل الجانب السياسي في فكر ابن تومرت حول الإمامة هو الطاغي، فهي بالنسبة إليه الإتباع والاقتداء والسمع والطاعة والتسليم وامتثال الأمر واجتناب النهي والأخذ بنسبة الإمام في القليل والكثير والعض عليها بالنواجد، وهو بذلك يمهد لعمله السياسي وثورته على الدولة المرابطية، فالظروف التاريخية لابن تومرت تتطلب هذا النوع من التفسير، كما يقول النجار: إن الحركة السياسية تخضع في نجاحها وفشلها إلى عامل من أهمها عامل الإمامة، وهو في هذا السياق يربطها بعامل الدين ظاهريا ككل الفرق

[1]– ابن تومرت، أعز ما يطلب، مصدر سابق، ص23–24.

[2]– سورة البقرة الآية 124.

الإسلامية، إلا أنه يفرض الالتزام بها وهنا يكمن جوهرها السياسي فاعتقدها دين والعمل بها دين والتزامها دين [1] .

ويعتقد ابن تومرت في الإمام المعصوم، ويرى أن لا يكون الإمام إلا معصوما، ويفصل في صفات الإمام المعصوم، فيقول: ولا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل ليهدم الباطل، لأن الباطل لا يهدم الباطل، وأن يكون معصوما من الضلال، لأن الضلال لا يهدم الضلال ... وأن يكون معصوما من الجور لأن الجائر لا يهدم الجور بل يثبته، وأن يكون معصوما من البدع، لأن المبتدع لا يهدم الكذب بل يثبته، وأن يكون معصوما العمل بالجهل، لأن الجاهل لا يهدم الجهل، وأن يكون معصوما من الباطل لأن المبطل، لا يهدم الباطل، كما لا تدفع النجاسة بالنجاسة، وكما لا تدفع الظلمة بالظلمة، كذلك لا يدفع الفساد بالفساد، ولا يدفع الباطل بالباطل، وإنما يدفع بضده الذي هو الحق، لا يدفع الشيء إلا بضده، ولا تدفع الظلمة إلا بالنور، ولا يدفع الضلال إلا بالهدى، ولا يدفع الجور إلا بالعدل، ولا تدفع المعصية إلا بالطاعة، ولا يدفع الاختلاف إلا بالاتفاق، ولا يصح الإنفاق إلا باستناد الأمور إلى أولي الأمر، وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم، وأوجب على أتباعه الاعتقاد في الإمام المعلوم، وفقا لرأي الشيعة، فهم يعتبرون[2]، حسبما يصوغ لنا رأيهم المراكشي: " وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر"[3]، ويبين ابن تومرت أنه متى ضيع أمر الإمام، أو عصي أو نوزع أو خولف أو أهمل أو لم يرجع إليه، أو استبد دونه اختل الأمر، وكان من رأيه القول بعصمة الإمام علي على رأي الإمامية من الشيعة، كما غلبت عليه نزعة خارجية[4]، ويذكر ابن خلدون أن المهدي بن تومرت وافق الشيعة في الإقرار بالإمامة [5].

الإمامة هي عمدة الدين وعموده على الإطلاق في سائر الأزمان، ويقول ابن تومرت: (لا يكذب بهذا، إلا كافر أو جاحد أو منافق أو زائغ أو مبتدع أو مارق أو فاجر

---

[1]– ابن تومرت، أعز ما يطلب، مصدر سابق، ص24.

[2]– أحمد شارف، العقيدة وتجلياتها السياسية في فكر ابن تومرت، العدد الثامن، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص261.

[3]– المراكشي، المعجب، ص141.

[4]– أحمد شارف، مرجع سابق، ص261.

[5]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص305.

أو فاسق، أو رذل أو نذل، لا يؤمن بالله واليوم الآخر)[1]، ووافق الرافضة أيضا في إدعائهم العصمة لأئمتهم، وذلك أنه ادعى العصمة لنفسه، وصار أتباعه يطلقون عليه لقب المعصوم، دون ذكر اسمه لاشتهاره به، وقد حاول ابن تومرت أن يتدرج في إظهار هذا الأمر في بادئ أمره، فبدأ أولا بالتلميح لهم، ثم صرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، والعصمة عند أهل السنة والجماعة لم يثبت إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام[2] .

ابن تومرت لم يحدد معنى العصمة، كما فعل في الإمامة، بل ذكر الصفات التي يجب أن يكون الإمام معصوما منها حتى يستحق الإمامة وهي: الضلال أن يكون معصوما من الباطل، لأن الباطل لا يهدم الباطل، وأن يكون معصوما من الظلال لأن الظلال لا يهدم الظلال، وكذلك المضل لا يهدم الظلال، وكذلك المفسد لا يهدم الفساد، لابد أن يكون الإمام معصوما من هذه الفتن، ثم راح يعد الصفات التي ينبغي أن يكون الإمام معصوما منها، وهي الجور، البدع، الكذب، العمل بالجهل، لأن من وجدت فيه هذه الصفات لا يستطيع[3] .

المطلب الثاني: العصمة

فالعصمة فرع من الإمامة، لأنها صفة من صفات الإمام، وهي تعني الخلو عن الأخطاء والآثام على مستوى الفكر والسلوك[4]، حاول ابن تومرت أن يتدرج في إظهار هذا الأمر في بادئ أمره، فبدأ أول الأمر بالتلميح به، ثم صرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، والعصمة عند أهل السنة لا تكون إلا للأنبياء، وهي نسبية محصورة عند الأشاعرة، في أربع صفات هي: الصدق الأمانة والتبليغ والفطانة أما الشيعة فهي

[1]– المهدي ن تومرت، أعز ما يطلب، مصدر ساق، ص24.

[2]– محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، المهدي، ط11، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر الإسكندرية، 1429هـ/2008م، ص249.

[3]– علي الهادي الإدريسي، الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية، بحث لنيل شهادة الماجستير، إش: أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة، 1986–1987م، ص176.

[4]– عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص248.

مطلقة لا استثناء فيها ... أما العصمة عند ابن تومرت لا تتعدى العصمة الكبائر مثل الضلال والفساد والظلم والبدع والكذب والعمل بالجهل والباطل[1] .

صفة العصمة عند ابن تومرت من المبادئ الشيعية وعلى أساس أن العصمة مطلقة لا تقبل أن تكون محمل نقاش أو دحض أو اعتراض، وهي من الصفات اللازمة في الأئمة لابد أن تتوفر فيهم، فهم معصومون من الخطأ والضلال والكذب والبدع والباطل، وهم محل إشعاع فكري وعلمي، ومصدر التشريع والهداية، وهذا التوجه يتنافى وطبيعة البشر فالقرآن الكريم لم يثبت العصمة المطلقة لأنبيائه، وإن كان هناك شبه إجماع على أن مفهوم العصمة عن الخطأ وعن ارتكاب الكبائر على وجه العمد يأتي بعد النبوة مع جواز النسيان، ولا اعتقد أن المهدي كان جاهلا بهذا الإشكال، ولكن علاقاته مع صحابته كان على وعي بهذا الأمر[2]، وسائر الفرق الإسلامية من غير الشيعة لا يثبتون العصمة إلا للأنبياء وينفون وجوبها عن كل من سواهم من البشر، واختلفوا في مناط العصمة زمانا وموضوعا، وصار الأكثرون إلى أن الأنبياء معصومون بعد نبوتهم عن الخطأ في التبليغ، وعن ارتكاب الكبائر والخسيس من الصغائر على وجه العمد، وجوزوا الخطأ والنسيان فيما دون ذلك من الأفكار والأفعال، أما الشيعة فإنهم أثبتوا العصمة للأيمة الأنبياء، وأغلبهم ذهب في ذلك إلى الإطلاق، فقالوا: " إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان"، وعمدة استدلالهم على ذلك أن الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبي، وهو ذلك واجب الإتباع والطاعة، فإذا ما جاز أن يصدر منه الخطأ والنسيان والمعصية، جاز تبعا لذلك أن يفعل الناس الخطأ والمعصية برخصة من الله تعالى[3] .

يثبت ابن تومرت للإمام العصمة وجه الصراحة والقطع، فهو يقول: لا يمكن الإمام إلا معصوما من الباطل ومعصوما من الضلال ومعصوما من الفتن، ومعصوما من

---

[1]– عبد الحق الظاهري، الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي، الدار البيضاء، إفريقيا، الشرق، 2015م، ص41.

[2]– ابن تومرت، أعز ما يطلب، مصدر سابق، ص25.

[3]– عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص248.

العمل بالجهل، ولم يورد المهدي تفصيلا لمناط العصمة في فكر الإمامة وعمله، إلا أن الإمامة تتعلق بجانبين أشار إليهما في قوله: " لا يصح الاتفاق إلا باستناد الأمور إلى أولى الأمر، وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم "، فالجانب الأول تتضمنه العصمة من الباطل، وهي تعني عصمة الإمام في الآراء والمبادئ، والتعاليم التي تدعو إليها ويبشر بها، فهي كلها حق ولا يداخلها الباطل بحال من الأحوال كالكذب والجهل والابتداع، وغيرها من الطرق المؤدية إلى الخطأ، وهو ما أكده في موضع آخر بقوله متحدثا عن المهدي " أنه معصوم فيما دعا إليه من الحق لا يجوز عليه الخطأ فيه "[1]، أما الجانب الثاني تتضمنه العصمة من الظلم، وهو يتعلق بسياسة الناس والقيام على شؤونهم وتدبير أمورهم، وقد أكد المهدي عصمة الإمام في تصرفاته في هذا الجانب، وغير من ذلك بالعصمة من الفساد كما في قوله: " لا يقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد"[2] .

المطلب الثالث: المهدية

من حيث اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي (هدى)، والهدي ضد الضلال: هداه إلى الطريق: دله على الطريق المستقيم، أما الدلالة الاصطلاحية فيمكن تلخيصها في: انتظار المخلص الذي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا [3]، تعتبر المهدية ركنا أساسيا في الإمامة عند ابن تومرت، ولكن البيانات التي عثر عليها في مؤلفاته متعلقة بها لم تشمل على تنظير لهذه الفكرة لتيوضح معالمها، ويبين عناصرها ويكشف عن أصولها العقيدية والشرعية، وتقوم فكرة المهدية كما عرفت في العالم الإسلامي على الإيمان برجل منتظر نسبه في آل البيت، ويكون مخلصا للأمة من الظلم والطغيان، فيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، ويسمى المهدي لأن الله قد هداه فاهتدى[4]، كان ابن تومرت أحد الذين تبنوا فكرة المهدي المنتظر في أوائل القرن الخامس الهجري أو القرن الحادي عشر

---

[1]– عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص249.

[2]– ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت591هـ/1196م)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط3، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص246.

[3]– علي الهادي الإدريسي، مرجع سابق، ص180.

[4]– عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت**، ط1، دار الغرب الإسلامي، جامعة الأزهر، 1403هـ/1983م، ص239-240.

الميلادي، فهو تمكن من إقناع المجتمع البدوي بصحة دعواه من طريق القيام بثورة إصلاحية، تمكنت من إسقاط دولة المرابطين وإنشاء دولة الموحدين، إذ استغل وجوده بين أهله وقبيلته هرغة، والتي فيها مكانا آمنا ليبث دعوته التوحيدية وآرائه المعارضة للسلطة المرابطية[1]، وأنشأ رباطا للعبادة والتدريس، فاجتمع عليه الطلبة والقبائل المختلفة، وأخذ يعطيهم الدروس الدينية والعسكرية، وأخذ يمهد الطريق بين أتباعه لفكرة المهدوية، ويحثهم على القيام على الدولة المرابطية، وأخذ البيعة منهم، وأخذ يطعن في عقيدة المرابطين، وكان اختياره لموقعه الجديد اختيارا ناجحا، بسبب وقوعه على مدخل مدينة مراكش، والذي كان يستطيع من خلاله لقاء الداخلين والخارجين من مراكش، وكذلك وجوده بإمكان آمن بين أهله وقبيلته، فأخذن القبائل تتوافد عليه[2] .

إن ظاهرة المهدوية قديمة قد اعتقاد الإنسان في عودة أو ظهور مخلصين للشعوب المغلوبة على أمرها من قهر المستبدين وظلمهم، فاليهود ينتظرون عبد يهوا، الذي يعني العادل، وأنه سيعود في آخر الزمان لكي يعيد مجده العادل[3]، وعليه كانت فكرة المهدي فكرة براقة استهوت الناس أكثر من أي فكرة أخرى، لأنها كانت تبعث فيهم الأمل، وترضي تطلعاتهم نحو المستقبل[4]، لذلك لاقت هذه الفكرة استحسانا وإعجابا في أوساط المجتمع الإسلامي على مدى العصور، أخذ ابن تومرت آراءه من كل مذهب من المذاهب، بعد الاطلاع على تعاليمه، أثناء تجواله في الأندلس والشرق الإسلامي فإن فكرة المهدي المنتظر، ومبدأ العصمة الذي احتضنهما ابن تومرت في عقيدته، هما اللذان جعلا المؤرخين يطلقون عليه صفة التشيع، وخاصة الاعتقاد بكتاب الجفر للإمام الصادق، إذ جعل صفة التشيع تلتصق بشخصيته[5].

بما أن فكرة المهدوية فكرة شيعية إمامية، قال المراكشي: (وكان يبطن شيئا في التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيئا)[6]، وكذلك يذكر ابن خلدون حول مسألة

---

[1]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص228.

[2]– النويري، نهاية الأرب، ج22، مصدر سابق، ص285.

[3]– محمد فريد حجاب، المهدي المنتظر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص18–19.

[4]– فوزي، مرجع سابق، ص45.

[5]– الغناي، مرجع سابق، ص39.

[6]– المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص188.

المهدية لابن تومرت يقول: " ولم يحفظ عنه فلتة في البدعة، إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم"[1]، ولكن في الحقيقة أنه لم يكن شيعي العقيدة، لأن الإمامة وفكرة المهدوية والعصمة عند الشيعة، لم يكن عندها تشابه مع ابن تومرت مع ابن تومرت، وإنما كانت دوافعه سياسية، إذ رعى في فكرة المهدوية فكرة تعطيه الحق في زعامة الموحدين، وفرض أفكاره دون أن يناقشه أحد[2]، ويقول كذلك الذهبي: " الخارج بالمغرب المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي ... رحل من السوس الأقصى شابا إلى المشرق، فحجَّ وتفقَّه، وحصَّل أطرافا من العلم، وكان أمَّاراً بالمعروف، وناهيا عن المنكر، قوي النفس، شجاعا، مهيبا، قوالا للحق، عاملا على الملك، غاويا في الرئاسة والظهور، صاحب هيبة ووقار ...، انتفع به الخَلْقُ، واهتدوا، وملكوا المدائن، وقهروا الملوك، وأخذ عن أبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي ...، وكان خشن العيش، فقيرا، قانعا باليسير، مقتصرا على زي الفقير، لا لذة له في مأكل ومنكح ومال ...، حتى لقي الله تعالى، ولكنه دخل والله في الدماء لنيل الرئاسة[3]."

أما بالنسبة لابن القيم فيقول: " أما مهدي المغاربة ابن تومرت، فإنه رجل كذاب، ظالم، متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتحايل والتغلب، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شرا على الملة أكثر من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع باطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، ويأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي، الذي بشر به النبي، ثم يردم عليهم ليلا، لئلا يكذبوه بعد ذلك ... واستباح قتل من خالفهم من أهل العمل والإيمان، وتسمى بالمهدي المعصوم[4]."

إن ابن تومرت الذي ادعى بأنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم عن كل خطأ، وأنه سيملأ الأرض عدلا، وقام من خلال عملية التمييز بقتل أعداد كبيرة من الأشخاص الأبرياء، حتى التصقت به صفة رجل سفاك للدماء[5].

---

[1]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص229.

[2]– عبد الله صالح سفيان، المهدوية، ط1، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1990م، ص21..

[3]– الذهبي،ج2، مصدر سابق، ص298.

[4]– أحمد العامري، المهدي بن تومرت وحياته الفكرية والاجتماعية قراءة تاريخية، أضواء الحضارة الإسلامية، المجلد1، العدد2، خريف وشتاء، 1403هـ/2024م، ص230.

[5]– ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص181.

لقد وجدت فكرة المهدية ضالتها، مع العلم أن ارتباطها قوي بالنسب ولها مواصفات، وفي إحدى الرسائل الموحدية التي تتحدث عن المهدي نصادف في هذا الصدد حديثا للرسول صلى الله عليه وسلك يتحدث فيه عن صفة المهدي المنتظر، وقد جاءت متطابقة لصفات ابن تومرت، وخاصة وأن المهدي بن تومرت قد سلك الطريقة في إظهار المهدوية نفس الطريقة مع العصمة حين يتحدث عن الدواعي والأسباب المؤدية إلى ظهور المهدي، إذ قال: " إن العلم ارتفع، وأن الجهل عم، وأن الحق ارتفع وأن الباطل عم، وأن المهدي ارتفع، وأن الضلال عم، وأن العدل ارتفع، وأن الباطل عم، وأن الرؤساء الجهال استولوا على الدنيا، وأن الملوك الصم البكم استولوا على الدنيا، وأن الدجالين استولوا على الدنيا، وأن الباطل لا يرفعه إلا المهدي، وأن الحق لا يقوم به إلا المهدي"[1]، " وأما الزمان فيأتي في آخر الزمان"[2]، فالمهدوية إذن عند ابن تومرت هي الشرعية الثورية، في مقابل الشرعية السياسية التي كان المرابطون قد اكتسبوها، إذ أن هذه الشرعية تضمن طاعة الأمة له ولتعاليمه، بل تصبح تلك الطاعة واجبة، لأنه لا يستطيع أن يفرض أية واجبات على الأمة نحو الإمام في عياب الشرعية، ولذلك حين أعلن أنه المهدي، وبايعه أصحابه على ذلك[3]، ونحج ابن تومرت في إرساء فكرة المهدي وترسيخها بين القبائل المغربية، وخاصة أن الناس كان لديهم اعتقاد متواتر بأن المهدي لابد أن يظهر في الأراضي المراكشية[4] .

[1]– حنيفي حسن، من العقيدة إلى الثورة، الإيمان بالعمل، الإمامة، مكتبة القاهرة، 1977م، ص189، ص188.

[2]– ابن تومرت، أعز ما يطلب، مصدر سابق، ص253.

[3]– ابن القطان، نظم الجمان، مصدر سابق، ص76.

[4]– ابن تومرت، مصدر سابق، ص239.

المبحث الثاني: المناظرات الفقهية وأسباب نجاح العقيدة التومرتية

المطلب الأول: المناظرات الفقهية

لم يكن الجدل والمناظرة رائجين بالمغرب قبل دعوة المهدي بن تومرت، وذلك لأن هذين اللونين من النشاط الفكري يولدان من تباين المذاهب، وهو ما لم يكن متوفرا إلا بالأندلس، فقام هناك لون من الجدل كان ابن حزم الظاهري محوره الأساسي فيما واجه به اليهود والنصارى مما يتعلق بالعقيدة، وما واجهه به المالكية مما يتعلق بالفقه، فلما جاء ابن تومرت، وكان قد درس بالمشرق أساليب الجدل والمناظرة، فافتتح عهدا جديدا بهما بالمغرب، وهذا ما حدث في المناظرة الفقهية التي دارت بين ابن تومرت وأمير المرابطين علي بن يوسف في مراكش[1]، وأثناء الجمعة الأولى من وصوله إليها، توجه إلى المسجد الجامع الذي اعتاد الأمير المرابطي علي بن يوسف أداء صلاة الجمعة فيه، فركع في الصف الأول على مقربة من المنبر، فحاول إمام المسجد إقناعه بضرورة ترك هذا الموضع المخصص لأمير المسلمين فأبى أن يتركه[2]، وتلا عليهم الآية القرآنية: " وأن المساجد لله"[3]، وعندما وصل الأمير علي بن يوسف قام إليه الحاضرون بينما بقي ابن تومرت في مكانه[4]، ولما انتهت الصلاة سارع إلى مصافحته وأمره أن يغير المنكر ببلاده لأنه المسؤول عن رعيته، فلم يجبه أمير المسلمين، ولكنه لم يكد يدخل إلى قصره حتى أرسل إليه يسأله إن كانت له حاجة خاصة يقضيها له، فأبدى ابن تومرت زهده في طلب أي شيء وأن حاجة له سوى تغيير المنكرات[5]، وكذلك حدث في يوم من الأيام أثناء تجوال المهدي بن تومرت في مراكش أنه قابل الأميرة أخت الأمير علي بن يوسف في موكبها رفقة جواريها سافرت على عادة المرابطين، فأنكر عليهم سفورهن وتبرجهن،

---

[1]– عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص473.

[2]– عدة الشيخ، مظاهر التركيز على أخطاء المرابطين، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد01، مجلد 18، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، أوت 2022، ص667.

[3]– سورة الجن الآية 18.

[4]– ابن الأثير، عزالدين، الكامل في التاريخ، ج6، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ص196.

[5]– ابن الخطيب، مصدر سابق، ص73.

وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت الأمير عن دابتها [1]، فوقع بذلك الهرج والاضطراب، ورفع الأمر إلى الأمير علي بن يوسف، فجمع الفقهاء وشاورهم في أمره، فأشاروا عليه بدعوته إلى المناظرة معهم[2]، فاستقدمه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، كما استقدم فقهاء مراكش وطلبتها وأشياخ لمتونة والمرابطين في مجلسه، وقال لهم: " إنما بعثت لكم لتختبروا أمره، فإن كان عالما اتبعناه، وإن كان جاهلا أدبناه"، وعندئذ طلب ابن تومرت منهم أن يختاروا من ينوب عنهم في مناظراته فقدموا من اختاروه، فسأله ابن تومرت عن طرق العلم، فأجابه مقدمهم: " نعم هي منحصرة في الكتاب والسنة والمعاني التي نبهت عليها"، فقال ابن تومرت: " إنما سألتك عن طرق العلم هل تنحصر أم لا، فلم تذكر إلا واحدا منها، ومن شروط الجواب أن يكون مطابق للسؤال"، فلم يفهم قوله وعجز عن الرد، ثم سأله ابن تومرت عن أصول الحق والباطل ماهي؟، فعاد إلى جوابه الأول، فلما رأى ابن تومرت عجزه وأصحابه عن فهم السؤال ومعرفة الجواب، على إثرها أخذ يوضح لهم طرق العلم فبهرهم بعمق معارفه واتساع ثقافته، وفضح جهلهم وعجزهم، وقد كان جل من حضر ذلك المجلس من الفقهاء المرابطين[3].

كما كان من أخص ما تميزت به هذه المناظرة أن ابن تومرت قد أبدى في مناقشته تمسكه بأصول الشريعة إزاء فقهاء المرابطين وهم أقطاب علم الفروع، وأراد أن يبين جهلهم بمناهج الشريعة الحقيقية فجعل المناقشة تجري على الأصول لا على الفروع، وأبدى في عرضه أنه يرجع إلى الأصول الشرعية خاصة القرآن والسنة، ولا يرجع لقول مستخرج، ولا يعتبر الاجتماع مرجعا من مراجع الشريعة، بينما كانت الدراسات المفضلة عند المرابطين هي علم الفروع[4]، ويقول المراكشي في هذا الصدد: ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلِم عِلْم الفروع، أعنى فروع مذهب الإمام مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب والعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في

[1]– ابن الأثير، ج9، مصدر سابق، ص196.

[2]– ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص228.

[3]– عدة الشيخ، مرجع سابق، ص668.

[4]– حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص96.

كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء[1].

المطلب الثاني: أسباب نجاح عقيدة ابن تومرت

هناك عدة أسباب ساهمت في نجاح عقيدة ابن تومرت وتبينها للقبائل، ومما ساهم في تكوين دولة وحدت معالم الدين الإسلامي، شملت المغرب، وحتى الأندلس تمثلت في ما يلي:

– تزايد العداوة بين قبائل المصامدة وقبائل صنهاجة، نتيجة الاختلاف في نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين هذه القبائل، وكذلك الضرائب الكثيرة التي فرضها المرابطين عليهم والطريقة المجحفة في جبايتها، ويتأكد هذا الرأي من وضعية المنخرطين الأوائل في دعوة ابن تومرت، وهم البسطاء من قبائل مصمودة دون أشياخها ورؤسائها، وبهذا اشتغل ابن تومرت ذلك لصالح دعوته التي يقول أنها هادفة إلى رفع المظالم والمناكر والمغارم عنهم، وهو فقير وأصحابه مثله، وكان يشدد على هذا الفقر في خطبه، متخذا من مفاسد الطبقة العليا من الحكام والفقهاء مادة لوعظه، معتبرا جهادهم أعظم من جهاد القبائل المصمودية الكبرى، إلا أنه استطاع بذكائه وقدرته وبعد نظره [2].

– يقول "ابن القطان" في حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبو حامد الغزالي " وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما أُلِفَ مثله سببا لزوال ملكهم، واندثار سلكهم، واستئصال شأفتهم على يد هذا الأمير العزيز، القائم بالحق المظهر بالسنة، المحيي للعلم"،[3] كان من أسباب نجاح دعوة ابن تومرت أنه عرف كيف يستثمر في حادثة إحراق المرابطين لكتب الإمام أبو حامد الغزالي، وعلى رأسها كتابه – إحياء علوم الدين– والتي حدثت واقعته في عهد الأمير المرابطي علية بن يوسف بن تاشفين، عاملا بنصيحة وإشارة من البعض من الفقهاء المالكيين خاصة، الذين يتقدمهم القاضي ابن حمدين، وذلك في مسعى من ابن تومرت للنيل من المرابطين والدعاية ضد حكمهم،

[1]– المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص131.

[2]– عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص37.

[3]– ابن القطان، مصدر سابق، ص72.

والحط من مكانتهم وتشويه صورتهم عند العوام والإتباع، رافعا في ذلك شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد استغل ابن تومرت قضية الإحراق أيما استغلال، وجعلها قميص عثمان، فهاجم المرابطين وطبقة الفقهاء، رغم أن مسألة إحراق الكتب كان أمرا مألوفا في الأندلس على الأقل، فقد أحرقت من قبل كتب ابن حزم الظاهري ومعظم كتب مكتبة الحكم المستنصر، ولم تحدث تلك الضجة التي حدثت مع إحراق كتاب الإحياء، وذلك ما يدل على ضلوع ابن تومرت في القضية، وإثارتها وحسن استغلالها لصالح دعوته ضد المرابطين وفقهائهم، وكأنهم أحرقوا كتابا مقدسا[1]، وعلى أية حال فإن الضجة التي افتعلها ابن تومرت ضد المرابطين بسبب حرق كتب الغزالي كانت مجرد ستار، فهو لم يعمل بآراء الغزالي، ولم ينتفع بها، بل كان مخالفا لها على طول الخط، فمبدأ الاجتهاد الذي يعلق عليه الغزالي أهمية كبيرة في استنباط الأحكام، والذي يتفق عليه أئمة المذاهب السنية، ينكره ابن تومرت كمصدر من مصادر الشريعة، ومعارضته أيضا لجهود المجتهدين في تجيد الشريعة، لأنه يتشح بثوب الإمام المعصوم من أكثر ما عارضه عليها الغزالي وسخر منه[2] .

[1]– عدة الشيخ، مرجع سابق، ص673.

[2]– عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص39–40.

خلاصة الفصل

يتضح من خلال ما سبق دراسته حول قضية الفكر المهدوي وأسباب نجاحه في المغرب الإسلامي، هو أن المهدي بن تومرت ركز على جوانب دينية، وكذا العصبية القبيلية للقبائل العربية المتواجدة في المغرب الإسلامي، وإظهار أخطاء الدولة المرابطية مع المجتمع، وكذلك استغلال العديد من الأحداث التاريخية التي قامت به الدولة المرابطية لصالحها ضدهم، ولعل أول حركة قامت بها المهدي بن تومرت لإنجاح عقيدته المناظرات الفقهية في مجلس الأمير علي بن يوسف بن تاشفين في مجلسه، بحضور العديد من الفقهاء، لضرب كيان الدولة المرابطية وزعزعتها وإنجاح عقيدته ومآربه سواء السياسية أو الدينية .

الفصل الثالث

التأثير السياسي لعقيدة ان تومرت في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: تأثير عقيدة ابن تومرت سياسيا

المبحث الثاني: تأثير العقيدة التومرتية فكريا ودينيا

المبحث الثالث: التأثير الاجتماعي للعقيدة التومرتية

تمهيد

العقيدة التومرتية مبدأ ديني سياسي ظهر في بلاد المغرب الإسلامي، على يد ابن تومرت تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكفير الدولة المرابطية، وقد سعى هذا المبدأ إلى فرض نفسه في المغرب الإسلامي لدرجة أنه استطاع أن يؤسس كيان سياسي في المغرب، إذ اثرت هذه العقيدة التومرتية على أصعدة مختلفة في بلاد المغرب، منها سياسيا ودينيا، واجتماعيا، وهذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا الفصل تحت عنوان تأثير عقيدة ابن تومرت في بلاد المغرب .

المبحث الأول: تأثير عقيدة ابن تومرت سياسيا

المطلب الأول: قيام الدولة الموحدية

تشير العديد من الدراسات التاريخية إلى أن مكوث ابن تومرت في ملالة الواقعة قرب بجاية شهد تطورا حاسما في فكره السياسي الثوري، وما يدل على ذلك بداية تخيره للرجال الثقاة أمثال عبد المؤمن بن علي ومحمد البشير الونشريسي، ولما حل بأغمات اختمرت الفكرة في ذهنه حينما نادى بخلع طاعة علي بن يوسف المرابطي، ساهمت الأحداث التي ألفها في طريق مآربه في تنامي فكره الثوري السياسي الراغب في تغيير ما آل إليه وضع الأمة الإسلامية طامحا في إنشاء كيان يحفظ بيضة الإسلام ويعيد عزه المسلوب، مما يضاف إلى تأكيد مبتغياته التغييرية، وتظهر جليا مطامحه السياسية في إقدامه على تنظيم أتباعه خاصة لما حل بإيجلي وتزايد مناصري دعوته القائمة على جملة من العقائد المذكورة، وقد أثمرت هذه الدعوة التومرتية على تأسيس دولة بأكملها في المغرب الإسلامي والأندلس أطلق عليها الدولة الموحدية[1].

يعتبر المهدي بن تومرت المؤسس الروحي للدولة الموحدية في المغرب[2]، التي دامت قرنا ونصفا من الزمان، وقد بلغت من سعة الرقعة ومن الازدهار والقوة والسطوة مبلغا عظيما جعلها واحدة من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي، فقد امتدت الدولة الموحدية من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا، ومن الأندلس شمالا إلى قلب الصحراء جنوبا، وتولى حكمها أربعة عشرا أميرا ابتداءً بالمهدي، وقد شهدت العلوم والفنون والعمارة في عهدها ازدهارا مشهودا، وتكفلت بالجهاد في الأندلس، وردت غزوات النصارى المتتالية، وأوقعت بهم في واقعة الأرك الشهيرة[3].

تأسست هذه الدولة على مبادئ ابن تومرت وكانت ثمرة لدعوته، إنما قامت لإصلاح الفساد الذي كان متفشيا في عهد المرابطين، أولئك الذين أعلن المهدي الثورة عليهم من أجل ما كانوا عليه من جهل بالدين، وخضوع للهوى، أوقعهم في الكفر والتجسيم وإنكار

---

[1]- الجيلالي بن قمار، سالم كربوعة، العقيدة التومرتية وتجلياتها السياسية في بلاد المغرب الإسلامي (501-524هـ/1107-1130م)، مجلة دفاتر المخبر، المجلد19، العدد02، جامعة بسكرة، 2024، ص43.

[2]- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج6، مصدر سابق، ص301.

[3]- عبد الحميد النجار، مرجع سابق، ص377.

الحق، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وارتكاب المناكر والفجور، والتمادي على العناد والفساد في الأرض، وعلى هذا الأساس ثاروا على المرابطين من أجل تحقيقها وإقامة دولة على أساسها ترعى الدين الحق وتسلك مسلك الحق، وتسعى في مصلحة الأمة[1].

المطلب الثاني: حصار مراكش

لما انتشرت دعوة المهدي ابن تومرت، واستقر حاله وكثر أتباعه عزم على حصار مراكش ومقاتلة المرابطين، فقام بكتابة رسالة بخط يده يدعو الموحدين إلى القدوم إليه في تينملل، فجهز جيشا عظيما من المصامدة جلهم من تينملل مع فئة من أهل السوس وقال لهم: (أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم، لكم من لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنة قتالهم)[2]، وحسب الحلل الموشية فإن جيش الموحدي قد قدر عددهم بأربعون ألفا منهم الفرسان والراجلين أما جيش المرابطين فبلغ زهاء المائة ألف[3]، ذكر ابن خلكان أن جيش الموحدي بلغ تعداده عشرة آلاف فقط[4]، وجعل المهدي بن تومرت على رأس جيشه كل من عبد المؤمن بن علي ومحمد البشير، وقال المهدي لجيوشه: (أنتم المؤمنون وهذا أميركم (يقصد عبد المؤمن بن علي)، فاستحق عبد المؤمن من يومئذ غمرة المؤمنين)[5]، استعدت الجيوش بعد ذلك واتجهت إلى محاصرة مراكش سنة 524/1130م، وخرج إليهم المرابطون لملاقاتهم في أزيد من مائة ألف مقاتل[6]، ويذكر البيذق بعضا من أحداث المعركة بين المرابطين والموحدين في مراكش: (... فلما كان بعد أربعين يوما أقبلت العساكر نحو مراكش ودخل أبو بكر بن الجوهر لعسكر هسكورة ودخل البلد ودخل يحي بن سقاطن بعسكر صنهاجة، فدخل المدينة فأقبل ياسين بن فيلو بعسكره وأقبل بعسكر

[1]– عبد الحميد النجار، مرجع سابق، ص381.

[2]– عبد الواحد المراكشي، المعجب، مصدر سابق135.

[3]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية، مصدر سابق، ص114.

[4]– ابن خلكان، ج5، مصدر سابق، ص53.

[5]– عبد الواحد المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص135.

[6]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية، مصدر سابق، ص114.

الغرب ودخل مراكش، ونزل بجانبها في البحيرة، فقيل له أدخل، فقال: لا، فلما أصبح الصباح قاتلناهم قتالا شديدا، وكان معنا أهل إيلان عن بكر أبيهم، وهزمونا بالعشي ونجى الموحدون، ومات من مات وافترق الناس، وجاز الخليفة مع طلبة أغمات على هيلانة فأصبح لنا الصباح بموضع يقال له: آيمى الزات، حتى وصلنا لدرن، فلما نزل كلذلك حتى وصلنا تيفنوت، فأقبل علي الخليفة الرضي عبد المؤمن بن علي، وقال لي يا أبا بكر أسرع بنا نحو المعصوم، فأسرعت حتى وصلت المعصوم فأعلمته)[1]، ولما رجع القوم إلى ابن تومرت، جعل يهون عليهم أمر الهزيمة ويذكرهم بأن قتلاهم شهداء، لأنهم ماتوا وهم يدافعون عن السنة، فزادهم ذلك بصيرة في أمرهم وحرصا على لقاء عدوهم[2] .

ويذكر في هذا الصدد الحلل الموشية أن آخر أيامه المهدي بن تومرت بقوله: (... وبعد ذلك اشتد المرض بالمهدي، وخرج من داره ليودع أصحابه، وجمع الناس ليسمعوا كلامه ويشهدوا وداعه فقال لهم: إن صاحبكم راحل عنكم، فبكى الناس وودعوه، ثم دخل داره واتصل به المرض إلى أن توفي...)[3]، وقد أخفى أصحاب المهدي بن تومرت خبر وفاته، ولم يخبروا بذلك أحدا حتى بايعوا عبد المؤمن بن علي، لتدخل بذلك الدولة المرابطية والموحدية في صراع بقيادة عبد المؤمن بن علي لهذا يعتبر عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة الموحدية .

المبحث الثاني: تأثير العقيدة التومرتية فكريا ودينيا

المطلب الأول: تأثير العقيدة التومرتية فكريا

قام ابن تومرت بإثراء الحركة العلمية في المغرب فكريا، وبفضله أصبح مركزاً مهما للعلوم العقلية والنقلية إذ أن ابن تومرت ساهم في نشر الأشعرية في المغرب طريقة ومذهبا، ونتيجة لذلك أصبح المغاربة الذين كانوا يرحلون إلى المشرق للاستزادة من علوم الدين مقتنعين أن الدين الحقيقي تركوه في المغرب، وهذا ما عبر عنه الرحالة ابن جبير بقوله: (... وليتحقق المحقق، ويعتقد الاعتقاد الصحيح أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب،

[1]– البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، مصدر سابق، ص40.

[2]– عبد العزيز شاكي، ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد1، العدد1، جامعة المسيلة، جانفي 2013، ص159.

[3]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص117.

لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع، إلا من عصم الله عزوجل من أهلهما، كما أن لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله[1].

وأهم ما جد في العلوم العقلية علم الكلام الذي بقي المغاربة بعيدين هنه، وكانت مسائل التوحيد والعصمة، والمهدوية من أهم ما أثار ذهنية المغاربة، ومن الشيوخ الذين برزوا في مسائل علم الكلام "ابن الاشبيلي" المتوفي سنة 567هـ الذي كان يعلم علم الأصول والكلام في مدينة فاس، وألف مختصرا في التوحيد سماه العقيدة البرهانية، وغير هذين العالمين كثير، وقد أصبح المغرب لأول مرة يجذب إليه طلاب أصول الفقه، وأصول الدين بدل الأندلس والمشرق، قال الشيخ المنوني: (إن الأندلسيين صاروا يرحلون إلى المغرب لقراءة هذين العلمين)[2].

فقد كان للأشعرية الموحدين أثرهم الواضح في انتعاش علم الكلام[3]، كوان غالب أعلام الأشعرية متكلمين وذوي ميول فلسفية، أسهموا في تطور الجدل والبحوث الكلامية، منهم أبو الحسن علي بن محمد خليد الأندلسي 588هـ/1171م، الذي تصدى لشرح عقيدة ابن تومرت بجامع القرويين بفاس، معلما لعلم الأصول والكلام، وقد تخرج على يديه أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعرووف بالسلالجي 564هـ، الذي كان له اعتناء بمرشدة ابن تومرت، وشبهه بعض المؤرخين بأبي المعالي الجويني في المشرق، ولقب بمنقذ أهل فاس من التجسيم[4]، نشطت الفلسفة وكثر المشتغلون بها وذاع صيت المغاربة في ذلك إلى درجة أن فريديريك الثاني ملك إيطاليا 589هـ-647هـ/1194-1250م، وجه أسئلة فلسفية إلى علماء سبتة[5] للإجابة عنها، فأجاب عنها الفيلسوف عبد

---

[1]- ابن جبير، أبي الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، ط2، مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريل المسيحية، 1907م، ص143؛ علي الهادي الإدريسي، مرجع سابق، ص247.

[2]- علي الهادي الإدريسي، مرجع سابق، ص248.

[3]- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001م، ص294.

[4]- عبد الله علي علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1964م، ص305.

[5]- **سبتة:** مدينة عظيمة سماها الرومان سفيطاس، وأطلق عليها البرتغاليون اسم سوبتة، وهي على سحال البحر الأبيض المتوسط تقابل طنجة في مواجهة جبل طارق. **ينظر:** ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص182.

الحق بن سبعين توفي سنة 669هـ/1270م، وضمنها كتابه " المسائل العقلية"، فكتب وهو بسبة رسالة من 49 صفحة سماها المسائل الصقلية، وهذا راجع للمنهج الذي عمل عليه ابن تومرت الكلامي الذي جدد العلوم الفلسفية والكلامية شبابها في المغرب بعدما شاخت وأهينت زمن المرابطين، وفي مقابل تشجيع السلطة الموحدية لهذه العلوم، في أول أمرها كان للفقهاء مواقف مماثلة وأخرى معادية لهذه العلوم[1] .

كما ترك ابن تومرت رسائل في الفقه وأصول الفقه، إلا أن أغلب الرسائل الفقهية تتمثل في روايات لأحاديث في مسائل فقهية، ولذلك اختلطت رسائل الحديث برسائل الفقه وسنوردها كالآتي:

– رسالة في الصلاة: هي بحث موسع في الصلاة مؤصل على الأدلة وردت في مجموع أعز ما يطلب.

– كتاب الطهارة: هو مبحث في أحكام الطهارة من خلال الحديث ورد في مجموع أعز ما يطلب.

– كتاب الغلول: هو مبحث في الغلول وإحكامه والتحذير منه، ورد في مجموع أعز ما يطلب.

– كتاب تحريم الخمر، هو بحث في حرمة الخمر والتحذير منه، ورد في مجموع أعز ما يطلب .

– كتاب الجهاد: هو بحث في أحكام الجهاد والحض عليه، ورد في مجموع أعز ما يطلب[2].

ترك أيضا آثارا في الحديث، وهي في جملتها مجموعة من الأحاديث مرتبة رسائل حسب المواضيع أو اختصارات لكتب في الحديث من الصحاح، وأهم هذه الآثار ما يلي:

– **الموطأ:** هو كتاب اختصر فيه المهدي بن تومرت موطأ الإمام مالك من رواية يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي، واقتصر على الراوي الأخير للحديث بعد حذف بقية السند .

[1]– مغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية في المغرب، مرجع سابق، ص258.

[2]– عبد الحميد النجار، مرجع سابق، ص153.

- **مختصر صحيح مسلم:** هو صحيح مسلم محذوفة منه السانيد، ولعله هو الذي أشار غليه ابن القطان بقوله: (... ثم أمروا أي الصبيان الذين يربون تربية موحدية في عهد عبد المؤمن بن علي بكتب التوحيد وحفظه، وكتب موطأ الإمام رضي الله عنه وحفظه، ومسلم وحفظه، فذكر مسلم ضمن مؤلفات المهدي قرينة على أنه من تأليفه أيضا...)[1].

المطلب الثاني: تأثير الفكر المهدوي دينيا (انتشار المذاهب المختلفة)

بعد انتشار الفكر المهدوي في المغرب، لم يقتصر فقط على الفرق الكلامية والمناظرات بل تعداه إلى نشر أفكار دينية أخرى، ومذاهب أخرى كالمذهب الظاهري والمذهب الأشعري، اللذان لازما العقيدة التومرتية، إذ نهج ابن تومرت في نشر عقيدته الأشاعرة في تأويل بعض صفات الله سبحانه وتعالى، حيث يذكر ابن خلدون ان ابن تومرت هو الذي حمل أهل المغرب على القول باتأويل والأخذ بالمذهب الأشعري في كافة العقائد، وقد ذكر المراكشي أن ابن تومرت ضمن تصانيفه مذهب الأشاعرة في كثير من المسائل، حيث كان (... جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية...)[2]، أما المقريزي فيرى في هذا الصدد أن ابن تومرمت تعلم المذهب الشعري أثناء وجوده في بلاد العراق، فلما عاد إلى بلاد المغرب، وأخذ بتعليم أصحابه علمهم المذهب الأشعري فكان ذلك سببا في انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب[3]، كما عمل ابن تومرت بموقف الأشعرية[4] في تأويل الصفات الإلهية والكسب والاستطاعة والإرادة لدى المكلف ومسائل أخرى ما جعله كبير منظري هذا المذهب الكلامي بالمغرب الإسلامي، وأبرز من مكن له في هذا القطر[5]، ومن أجل تثبيت المذهب الأشعري عند ابن تومرت في المغرب الإسلامي الانقلاب على المعتقد المرابطي السلفي من أجل توفير كل وسائل التمكين

---

[1]- عبد الحميد النجار، مرجع سابق، ص153.

[2]- المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص276.

[3]- المقريزي، مصدر سابق، ص89.

[4]- **الأشعرية:** أو الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي ابن إسماعيل لهم أقوالهم الخاصة في إثبات وجود الله والصفات والأيمان والإرادة وغيرها من المسائل العقدية. **أنظر:** عبد المنعم الحقي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1986م، ص52.

[5]- عبد المجيد النجار، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1992م، ص34.

المادية والمعنوية لفرض دعوته في أسرع وقت وأوسع قطر ممكن[1]، كما قام ابن تومرت بجعل مرتكب الكبيرة فاسقا ولم يسمه بكافر، إذ وافق المعتزلة في نفي الأسماء والصفات عن الله اجتنابا لكل ما عسى أن يوهم الشبه والمثلية لله سبحانه[2].

أثارت دعوة ابن تومرت آراء الكثير من الفرق والمذاهب فهي ليست أشعرية بحتة، وليست معتزلة تقوم على الأدلة العقلية وحدها، وليست خارجية كما ظنها علماء المرابطين، وهي أيضا ليست معتزلية تقوم على الأدلة العقلية وحدها، وليست خارجية كما ظنها علماء المرابطين، وهي أيضا ليست رافضية في كل اتجاهاتها، بل هي مزيج مضطرب من أغلب الفرق والمذاهب الإسلامية، ولهذا فإنه يبدو من المقبول أن يطلق عليها العقيدة التومرتية، وذلك لتميزها عن كل المذاهب السابقة بمنهج مستقل[3]، ومما لا شك فيه أن الخليط التومرتي في الأفكار والعقائد كان له أثره بعد ذلك على بلاد المغرب، وخصوصا بعد أن أصبح لهذه الأفكار كيان سياسي يحميها وأصبح له نفوذه على معظم بلاد المغرب، وكذلك يذكر السلاوي بقوله: (... وأما حالهم – يعني أهل المغرب– في الأصول والاعتقادات فبعد أن طهرهم الله من نزعة الخارجية أولا والرافضية ثانيا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف – رضي الله عنهم– في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر ... واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهور المهدي بن تومرت في صدر المائة السادسة)[4].

وقد اعتمد في نشر مذاهبه وأفكاره على طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تتطابق مع الخوارج القائم على الثورة والخروج على السلطة والعنف والتغيير بالقوة والتكفير والتساهل في سفك الدماء وعدم الاعتراف بالخلافة الشرعية[5]، هذه الأمور مجتمعة أضفت طابع الظلم والتعسف على دعوة ابن تومرت وأظهرت جليا انحراف ابن تومرت في عقيدته عن المذهب لا شرعي الصحيح القائم على التغيير بالدعوة والنصيحة

---

[1]– مغزاوي مصطفى، العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه (5–8هـ/11–14م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، إش: خالد كبير، جامعة الجزائر، 1429هـ/2008م، ص47.

[2]–عبد المجيد النجار، المهدي، مرجع سابق، ص362.

[3]– عبد الله علام، الدعوة الموحدية، مرجع سابق، ص151.

[4]– السلاوي، الاستقصا في أخبار المغرب الأصى، ج1، ص126–127.

[5]– محمد علي الصلابي، دولة الموحدين، (د.ط)، دار البيارق، عمان، الأردن، 1988م، ص48.

والمناظرة والترشيد، إذ اتسمت عقيدة ابن تومرت بالوحشية والقساوة واعتبره بعض المؤرخين طاغية العصور الوسطى[1]، كما أنه استغل سذاجة سكان المنطقة وبساطتهم وبدائية معارفهم فراح ينتحل الكرامات ويتفنن في الخدع ليمكن لنفسه ومعتقده الأشعري فاختلق حادثة نزول الملائكة لتزكية ومباركة دعوته[2]، وكلام الأموات الذين نطقوا من قبورهم ليشهدوا بصدق دعوته[3]، وحادثة التميز[4]، التي أفنى فيها خلقا كثيرا ممن شك في إخلاصهم له فتخلص منهم ليضمن نفسه ودعوته[5]، كما استعان بمختلف العلوم الباطنية الغبية الباطلة كعلم الجفر وخط الرمل وعلم الحدثان التي كثيرا ما تنتشر بين أهل الكهانة والتنجيم[6]، وهي أمور كلها محرمة تحريما صريحا، ولم يتعفف ابن تومرت في إتباع كل الخدع والمكائد الممكنة التي تمكنه من استمالة العامة ولو عبر مسائل محرمة شرعا[7]، غذا فابن تومرت من كبار الدعاة إلى المذهب الأشعري بل أخذ منهم أكثر المسائل في إثبات الصفات أي وافق المعتزلة[8].

قام ابن تومرت بشن حملة شرسة ضد فقهاء المالكية، حيث شملت التعذيب والتشهير وحتى المتابعة والمضايقة، فقد اتهم الموحدون فقهاء المالكية بالتجسيم والتشبيه والتقليد الأعمى والاعتماد على كتب الفروع وتغليب رأي مالك حتى على الكتاب والسنة، ثم إن هذا الصراع القائم بين السلفية المرابطية والمدرسة التومرتية الموحدية، إنما هو تجسيد للأهداف السياسية التي رسمها ابن تومرت واستغل كل الوسائل المادية والبشرية والعلمية

---

[1]– ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص181.

[2]– ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج9، ط4، مر: محمد يوسف دقاف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2003م، 195.

[3]– ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص172.

[4]– ابن القطان، مصدر سابق، ص148.

[5]– البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تح وتع: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص71؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان، ج3، ط1، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/1995م، ص36.

[6]– مغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي 6–8هـ، رسالة دكتوراه، ص144.

[7]– المرجع نفسه، ص109.

[8]– الصلابي، مرجع سابق، ص39.

من أجل تحقيقها، وكان من نتيجة هذا الصراع المالكي مع ابن تومرت ظهور معارضة شديدة للعقيدة التومرتية ونذكر من بين أهل الفقهاء المالكية الذين عارضوا العقيدة التومرتية القاضي عياض من خلال كتابه " الشفا"، إذ ذكر بأن العصمة للنبي صلى الله عليه وسلم ونفاها إطلاقا عن بقية البشر[1].

يبدو أن ابن تومرت قد أخذ عن الكثير من الفرق والمذاهب، فعقيدة ابن تومرت ليست أشعرية بحتة تقوم على الأدلة العقلية وحدها وليست خارجية، كما صورها المرابطون وهي ليست شيعية في كل اتجاهاتها بل هي مزيج مضطرب من أغلب الفرق والمذاهب الإسلامية[2]، جمعها ابن تومرت في كتاب شامل تسديد التخليط والتغليط سماه " أعز ما يطلب" أغلب ما يميز أسلوب ابن تومرت في دعوته التخويف والترهيب[3] مستخدما دهاءه السياسي وذكاءه من أجل تجسيد مشروعه السياسي دون مراعاة القواعد الأساسية لشرع، لذلك نجد أن الأسس الفكرية للدعوة التومرتية اتسمت بكثرة المتناقضات وعدم انسجام الآراء وصعوبة تطابقها مع الشرع وحتى مع العقل في بعض الأحيان ما جعل اعتناقها وانتشارها بين أهل المغرب لا يعدوا أن يكون مطية للخروج عن المرابطين أو خوفا من بطش الموحدين، ولهذا تخلى سكان المغرب عن العقيدة التومرتية في أول فرصة تسمح لهم، ويقول في هذا الصدد ألفريد " إن أتباع ابن تومرت لم يفهموا من دعوته إلا أنه هو الوريث الشرعي والمستحق للمعارف التي أورثها النبي صلى الله عليه وسلم"[4]، كما جمع ابن تومرت بين قدسية المهدي المعلوم والإمام المعصوم وجعلها من أركان العقيدة الموحدية وكفر كل من لم يصلي عليه ولم يطعه[5]، لقد أسفرت كل هذه الأفكار والعوامل على نشوء دولة دينية مؤلفة من مزيج من العقائد بعد صراع مرير دموي بين المرابطين والموحدين، غير أن عقيدة المهدي بن تومرت لم تعمر طويلا في بلاد

---

[1]– عبد الجبار صديقي، انهيار الدولة الموحدية – دراسة في الخلفايت الثقافية–، العدد06، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، المركز الجامعي نور البشير، البيض، (د.ت)، ص175.

[2]– الصلابي، مرجع سابق، ص63.

[3]– حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته دول المرابطين والموحدين والحفصي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992م، ص158، 139.

[4]– ألفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص167.

[5]– مغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية، مرجع سابق، ص128–130.

المغرب، وتم إلغاؤها في عهد الأمير الموحدي المأمون 624-630هـ/1227-1232م، الذي أسقط اسم المهدي من السكة والخطبة وتبرأ من عقيدته[1] .

المبحث الثالث: التأثير الاجتماعي للعقيدة التومرتية

استغل ابن تومرت جهل أتباعه من البدو والأميين الذين لا يستطيعون أن يفهموا الشريعة من أصولها المعتمدة، وكتب لهم شيئا في العقائد والعبادات بعضها باللسان البربري، وبناء مكان للعبادة ولتعليم الطلبة على منهجه الذي رسمه وتربيتهم عليه، قال ابن خلدون في هذا الصدد: (فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة، وبنى رابطة للعبادة، فاجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري)[2]، ولازم أتباعه بحفظ شيء من القرآن والحديث النبوي وتعلم المرشدة واستيعاب حقائق التوحيد بمذهب علم الكلام، وتحقيق أحكام العبادة وكان يوزع أصحابه في حلقات كل عشرة يكون مسؤولا عليهم أحد الطلبة النابهين، ونهج منهج الشدة في التعليم والتربية وأحدث أحكاما تبلغ إلى الضرب بالسياط لمن يظهر منه التهاون في حضور الأوقات أو في حفظ ما يطلب منه حفظه[3].

بعد أن حرص على بناء الأفراد علميا وروحيا شرع في بناء المجتمع الجديد على أسس من التعاون والتناصر والتآخي، وجعل أهل جبال أطلس في تينملل الأنصار ومن جاءهم من غيرهم المهاجرين، وقعد قواعد في هذا المجتمع للتآخي والتعاون وإغاثة المظلوم، واحترام الممتلكات، حمل عليها الكافة، ووضع تعازيز قاسية لعقاب من يتعداها، وربط المجتمع الجديد بوشائج القربى بين القبائل المختلفة بطريق المؤاخاة بينها أو بطريق المصاهرة المتبادلة وخاطب قيادة مجتمعه الجديد بقوله: (ما في الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة الذين عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: لا يزال أهل المغرب ظاهرين وأنتم تفتحون الروم وتقتلون الدجال، ومنكم الذي يؤم بعيسى، وحدثهم بجزئيات اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به ...)، ويذكر أيضا الذهبي في وصف المجتمع

[1]- ابن القطان، مصدر سابق، ص25.

[2]- ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ج6، مصدر سابق، ص227.

[3]- ابن القطان، نظم الجمان، مصدر سابق، ص26-27.

الموحدي (لهم تودد وأدب وبشاشة، ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال ...)[1] .

ويمكن إيجاز حكم ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بالآتي:

– يعد ابن تومرت المؤسس الحقيقي والروحي لدولة الموحدين، لأنه وضع الخطوط العريضة التي قامت عليها الدولة

– يعتبر منهج ابن تومرت خليطا من علم الكلام والمعتزلة الأشاعرة الشيعة الأمامية، الخوارج وغيرهم .

– لم يتورع ابن تورمت في سفك الدماء، وسبي النساء، تكفير المسمين، واستخدام الأساليب الملتوية، من الكذب والخداع، من أجل الوصول إلى هدفه .

– يعتبر ابن تومرت هو الناشر الفعلي لعقائد الشاعرة في الشمال الإفريقي، بقوة السلطان، وتأليفه لكتب في مجال العقائد، بهذا الخصوص .

– كان لابن تومرت، عبقرية تنظيمية، ومنهجية تربوية، وأهداف سياسية، سعى بكل الوسائل والأساليب لتحقيقها .

– ساعدت سذاجة المجتمع المغربي وجهله، على تغلغل معتقدات ابن تومرت، المنحرفة في أوساطه[2].

[1]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، مصدر سابق، ص549.

[2]– طلال مشعل، دولة الموحدين في المغرب، المحاضرة السادسة، تخصص تاريخ إسلامي، ص03.

خلاصة الفصل

من خلال دراستنا لفصل تأثير العقيدة التومرتية على بلاد المغرب، نستشف بأن جهود ابن تومرت التي قام بها من أجل غرس العقيدة المهدوية أو التومرتية في المغرب الإسلامي، أسفرت على جملة من النتائج سياسيا بتأسيس كيان سياسي عرف بالدولة الموحدية، أما دينيا فلقد أسفر عن ظهور العديد من المذاهب المختلفة في المغرب الإسلامي، على الرغم من اختلاف القبائل، إذ لم يتم التوصل بصفة رسمية إلى معرفة أي مذهب تسير الدعوة التومرتية، أما اجتماعيا فقد كان مجتمعا موحدي جديد ذو مبادئ دينية وخصائص اجتماعية جديدة .

خـــاتمة

نستنتج من خلال دراستنا لموضوع عقيدة المهدي بن تومرت دراسة تحليلية تاريخية جملة من النقاط الأساسية التالية:

– يعتبر المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من بين أكثر الفترات تأثيرا في الأحداث التاريخية للمنطقة، والتي تمثل حركة انعطاف في كل حقبة زمنية معينة، إذ عرفت سقوط العديد من الدويلات وقيام أخرى على أنقادها، سواءً كانت هذه الدويلات القائمة بدايتها سياسية أو دينية، وهو الأمر نفسه بالنسبة للحركات الدينية التي عرفت انتشارا بارزا في المغرب الإسلامي وخاصة بين القبائل المغربية، كونها قبائل تمتاز بالعصبية القبلية والقادرة على الانقلاب والخضوع في أي وقت كان، ومن بين هذه الحركات الدينية أو العقائد العقيدة التومرتية أو ما يعرف بدعوة المهدي بن تومرت .

– المهدي بن تومرت شخصية تاريخية مهمة ذات نسب شريف حسب المصادر التاريخية المغربية، سعت هذه الشخصية إلى ترسيخ معالم العقيدة التومرتية ونشرها في أواسط المغرب الإسلامي.

– قام المهدي بن تومرت بالعديد من الرحلات العلمية في المشرق والأندلس، ساعدته على تلقيه العلم والعلوم الفقهية، بشتى أنواعها، إذ ساعدته في ذلك العديد من الظروف البيئية والقبائلية منها قبائل المصامدة.

– الفكر المهدوي من أبرز المفاهيم الدينية أو الحركات الدينية، التي ظهرت في المغرب الإسلامي بقيادة المهدي بن تومرت خلال القرن السادس ميلادي، ويقوم على جملة من المبادئ العقيدة التومريتة، من عصمة وإمامة ومهدية .

– الإمامة هي الشعار السياسي الذي انتحله ابن تومرت، دعامة لزعامته وسلطانه، ونظرية المهدي المنتظر، هي الثوب الروحي الذي اتشح به، لتأييد شرعية إمامته وقدسيتها، ونحن نعرف أن الإمامة هي شعار الدعوة الديني والسياسي .

– العصمة فرع من الإمامة، لأنها صفة من صفات الإمام، ولم نرى من يعلقها بغيره، وهي تعني الخلو من الأخطاء والآثام على مستوى الفكر والسلوك، وسائر الفرق الإسلامية .

– تقوم فكرة المهدية كما عرفت في العالم الإسلامي على الإيمان برجل منتظر نسبه من آل البيت، ويكون مخلصا للأمة من الظلم والطغيان، فيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، ويسمى المهدي لأن الله قد هداه فاهتدى، كان ابن تومرت أحد الذين تبنوا فكرة المهدي المنتظر في أوائل القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي .

– من الأسباب التي اعتمد عليها المهدي بن تومرت لنجاح عقيدته في المغرب الإسلامي، العصبية القبيلية للقبائل العربية المتواجدة في المغرب الإسلامي، وإظهار أخطاء الدولة المرابطية مع المجتمع، وكذلك المناظرات الفقهية في مجلس الأمير المرابطي، بحضور العديد من الفقهاء، لضرب كيان الدولة المرابطية وزعزعتها وإنجاح عقيدته ومآربه سواء السياسية أو الدينية .

– من النتائج التي أسفرت على العقيدة التومرتية جملة من التأثيرات السياسية بتأسيس كيان سياسي عرف بالدولة الموحدية .

– ظهور العديد من المذاهب المختلفة في المغرب الإسلامي، على الرغم من اختلاف القبائل، إذ لم يتم التوصل بصفة رسمية إلى معرفة أي مذهب تسير عليه الدعوة التومرتية.

– أما اجتماعيا فقد كان مجتمع موحدي جديد ذو مبادئ دينية وخصائص اجتماعية جديدة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج9، ط4، مر: محمد يوسف دقاف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2003م
3. ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ج2، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م
4. ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح وتع: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1962م
5. ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، ط1، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
6. ابن جبير، أبي الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، ط2، مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريل المسيحية، 1907م
7. ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992مأبو إسحاق الاصطخري، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، 2004م.
8. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت608-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج1، تح: إحسان عباس، دار صادر.

9. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608-681هـ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت
10. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج1، ط1، تح وتع: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964م، الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، ط2 تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس .
11. ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تح: عبد الوهاب التازي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1964م
12. ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت591هـ/1196م)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط3، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، 1987 .
13. أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، **المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
14. البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت 1968.
15. البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تح وتع: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م
16. التاسافتي، عبد الله ابن إبراهيم، **رحلة الوافد**، تح: علي صدقي ءازايكو، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة
17. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ج4، دار صادر، بيروت.
18. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان، ج3، ط1، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/1995م.
19. السلاوي، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج1
20. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

21. عبد الرحمن ابن خلدون (ت 732-808هـ/1332هـ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، ضبط الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1431هـ/2000م.
22. عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م
23. مجهول (ت712هـ)، **تاريخ البربر**، ط1، تح وتع: محمد زينهم، جهاد لطباعة والنشر والتوزيع، مدونة برج بن عزوز.
24. محمد بن تومرت (المهدي)، أعز ما يطلب، تق وتح: عبد الغني أبو العز، مؤسسة الغني للنشر والتوزيع، مطبعة وليلي، مراكش، (د.ت.ن)، ص23؛ محمد عبد الله عنان،
25. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1985م.
26. النويري، شهاب الدين عبد الوهاب (ت733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج24، تح: عبد المجيد ترحيني، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثانيا: المراجع

27. ألفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، 1987م.
28. أمبروسيو هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ط1، تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، المكاري، الرباط، الدار البيضاء، 2004م.
29. بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2000م.
30. جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001م.

31. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته دول المرابطين والموحدين والحفصي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992م
32. حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997
33. حنيفي حسن، من العقيدة إلى الثورة، الإيمان بالعمل، الإمامة، مكتبة القاهرة، 1977م.
34. دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط2، مكتبة الخانجي، 1411ه/1990م
35. روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982م.
36. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400ه/1980م
37. عبد الحق الظاهري، الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي، الدار البيضاء، إفريقيا، الشرق، 2015م.
38. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1426ه/2005م.
39. عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988
40. عبد الله صالح سفيان، المهدوية، ط1، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1990م.
41. عبد الله علي علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1964م.
42. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين في بداية الدولة الموحدية، ط2، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411ه/1990م .

43. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ/1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/ 1983م.
44. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ط1، دار الغرب الإسلامي، جامعة الأزهر، 1403هـ/1983م .
45. عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1995م.
46. عبد المجيد النجار، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1992م،
47. عبد المنعم الحقي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1986م،
48. عثمان الكعاك، البربر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2010م.
49. كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1429هـ/2008م،
50. محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، المهدي، ط11، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر الإسكندرية، 1429هـ/2008م.
51. محمد علي الصلابي، دولة الموحدين، (د.ط)، دار البيارق، عمان، الأردن، 1988م .
52. محمد فريد حجاب، المهدي المنتظر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

53. عقون مليكة، إشكالية الإمامة في الفكر السياسي العربي الإسلامي " المهدي بن تومرت نموذجا"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، إش: عبد اللاوي محمد، جامعة وهران، 2012-2013.

54. علي الهادي الإدريسي، الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية، بحث لنيل شهادة الماجستير، إش: أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة، 1986-1987م
55. مغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي 6-8هـ، رسالة دكتوراه .
56. مغزاوي مصطفى، العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه (5-8هـ/11-14م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، إش: خالد كبير، جامعة الجزائر، 1429هـ/2008م.

رابعا: المجلات

57. أحمد العامري، المهدي بن تومرت وحياته الفكرية والاجتماعية قراءة تاريخية، أضواء الحضارة الإسلامية، المجلد1، العدد2، خريف وشتاء، 1403هـ/2024م.
58. أحمد شارف، العقيدة وتجلياتها السياسية في فكر ابن تومرت، العدد الثامن، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة
59. الجيلالي بن قمار، سالم كربوعة، العقيدة التومرتية وتجلياتها السياسية في بلاد المغرب الإسلامي (501-524هـ/1107-1130م)، مجلة دفاتر المخبر، المجلد19، العدد02، جامعة بسكرة، 2024
60. عباس الجراري، **الموحدون ثورة سياسية ومذهبية**، مقال، مجلة المناهل، ع01، نوفمبر، 1974م.
61. عبد الجبار صديقي، انهيار الدولة الموحدية – دراسة في الخلفايت الثقافية-، العدد06، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، المركز الجامعي نور البشير، البيض، (د.ت)
62. عبد العزيز شاكي، ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد1، العدد1، جامعة المسيلة، جانفي 2013

63. عدة الشيخ، مظاهر التركيز على أخطاء المرابطين، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد01، مجلد 18، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، أوت 2022.

خامسا: المحاضرات

64. طلال مشعل، دولة الموحدين في المغرب، المحاضرة السادسة، تخصص تاريخ إسلامي.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
الشكر والتقدير	/
الإهداء	/
مقدمة	أ
الفصل الأول: المهدي بن تومرت مسيرته التاريخية	
تمهيد	13
المبحث الأول: نبذة تاريخية عن شخصية المهدي بن تومرت	14
المطلب الأول: نسب المهدي بن تومرت	14
المطلب الثاني: نشأة المهدي بن تومرت ورحلاته العلمية	18
المبحث الثاني: الدعوة التومرتية وظروف ظهورها	22
المطلب الأول: بداية الدعوة التومرتية	22
المطلب الثاني: ظروف ظهور الدعوة التومرتية	24
خلاصة الفصل	26
الفصل الثاني: الفكر المهدوي وأسباب نجاح العقيدة التومرتية	
تمهيد	28
المبحث الأول: فكر عقيدة المهدي بن تومرت	29
المطلب الأول: الإمامة	29
المطلب الثاني: العصمة	32
المطلب الثالث: المهدية	34
المبحث الثاني: المناظرات الفقهية وأسباب نجاح العقيدة التومرتية	38
المطلب الأول: المناظرات الفقهية	38
المطلب الثاني: أسباب نجاح عقيدة ابن تومرت	40
خلاصة الفصل	42
الفصل الثالث: التأثير السياسي لعقيدة ابن تومرت في بلاد المغرب الإسلامي	

تمهيد	44
المبحث الأول: تأثير عقيدة ابن تومرت سياسيا	45
المطلب الأول: قيام الدولة الموحدية	45
المطلب الثاني: حصار مراكش	46
المبحث الثاني: تأثير العقيدة التومرتية فكريا ودينيا	47
المطلب الأول: تأثير العقيدة التومرتية فكريا	47
المطلب الثاني: تأثير الفكر المهدوي دينيا (انتشار المذاهب المختلفة)	50
المبحث الثالث: التأثير الاجتماعي للعقيدة التومرتية	54
خلاصة الفصل	56
خاتمة	58
قائمة المصادر والمراجع	62
فهرس المحتويات	/